السيد فرج

في شمال أفريقيا

الحملة الإنجليزية الأمريكية
والقتال الكبير في برقه وطرابلس وتونس
أكتوبر ١٩٤٢ — مايو ١٩٤٣



ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

السيد فرج

فى شمال أفريقيا

الحملة الإنجليزية الأمريكية
والقتال الكبير فى برقه وطرابلس وتونس
أكتوبر ١٩٤٢ — مايو ١٩٤٣



ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

كتب للمؤلف :

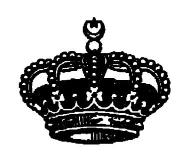
في شمال أفريقيا

حرب الصحراء المصرية

أحاديث في الحرب

هذه هي الحرب

الرياضة في بلادنا



مولاى حضرة صاحب الجلالة

اهتداء بنورك واقتداء بمثلك يأخذ رجال جيشك سمتهم نحو ما تعده لهم من مجد وما تعدهم له من علاء.

وحق لهم يا مولاى أن يكونوا السباقين إلى المجد الطامحين إلى العلاء فقد شرفت قدرهم بالقيادة العالية وأعليت شأنهم بالمثل العظيم.

وإنى أتشرف بأن أرفع إلى سدتكم العلية كتابى « فى شمال أفريقيا » وهو يتضمن دراسة عسكرية عصرية، وتسجيلا لعمليات حربية فاصلة.

أما رائدى فهو الرسالة الملكية السامية إلى شباب مصر : « أنتم حملة المشاعل وكثيرون ينتظرون الضوء الذى تحملونه ليهتدوا به فى طريق الحياة، فلا تطيلوا انتظارهم وانفعوا بعملكم وانتفعوا. ولنؤمن جميعاً بمصر فإنها كنانة الله، ولنعمل لها، وسيرى الله أعمالنا ويباركها »

عاشت مصر وحفظ الله الملك

غرة صفر ١٣٦٣	الجندى المخلص والخادم الأمين
٢٧ يناير ١٩٤٤	ملازم أول السيد فرج


حرية القول والرأى
حرية العبادة
حرية التحرر من العوز والفقر
حرية التحرر من الخوف

للأستاذ الكبير محمود أبو الفتح

عضو مجلس الشيوخ وصاحب جريدة المصرى

هذا كتاب جديد فى الحرب وضعه الأديب النابه الملازم أول السيد فرج . ويتصل موضوعه بمصر لأنه يتحدث عن حرب الصحراء والحملة الانجليزية الأمريكية التى فوجئ العالم بها فى شمال افريقيا ، وما كان من أمر قوات المحور وهزائمها النكراء ، وارتدادها على أعقابها بعد أن كانت تمنى النفس بأمانى الغزاة الفاتحين

فى هذه الفترة الدقيقة الحاسمة ولد للإنسانية تاريخ جديد . . تاريخ حافل بأعذب الأمانى وأطيب الآمال فى أن تتغلب قوات الخير على قوات الشر ، وأن تمضى الأيام فى بشريات متصلة تطالعنا بأنباء تهز النفوس وتنعش الآمال

وحتى أولئك الذين لحقهم اليأس ، وظنوا أنهم أضاعوا إيمانهم بالحق فى محيط القلق والخوف ، ازدهرت أمانيهم وأيقنوا أن أسطورة « الجيش الذى لا يغلب » قد تناثرت ذرات فى رمال الصحراء

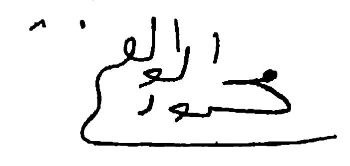
ولقد أعان المؤلف الفاضل على نجاح قصده أن جمع بين ميزتين يحتاج إليهما موضوعه أشد الاحتياج : ثقافته الحربية ، وأسلوبه الأدبى ،

وإلى جانب ذلك جهده الواضح فى الإلمام بدقائق موضوعه ، واستقراء حقائقه ، وتقصى أسانيده . . فاستطاع من كل أولئك أن يقدم بحوثاً موفقة وآراء صائبة

أما موضوعات الكتاب : العام الرابع ، مع الجيش الثامن ، الحملة الانجليزية الأمريكية ، فرنسا المحاربة تعمل ، الحرب فى تونس . . وغيرها . فهى موضوعات شائقة أجاد المؤلف تناولها — ولا نقول استوعب كل ما يقال فيها — ولكنه وضع أمام القارئ بيانات وافية ، وأعانه على معرفة أمور تحتم خطورتها ضرورة معرفتها ، والوقوف على الكثير من أسرارها وتطوراتها

وليس شك فى أن جهد المؤلف النابه خليق بالتقدير والإعجاب . ومن بواعث السرور والاغتباط أن يحاول الشبان العسكريون عندنا معالجة هذه الموضوعات ذات الصلة بأمتهم ، وأن يقربوا ما فيها من دقائق الفن العسكرى إلى أذهان القراء

لذلك أعتقد مخلصاً أن هذا المؤلف القيم سيلقى إعجاب القراء وثناءهم ، وهو خليق بهذا الإعجاب وذلك الثناء .



العـــام الرابع

حين دخلت الحرب عامها الرابع — فى سبتمبر ١٩٤٢ — توقع الكثيرون من رجال العسكرية والسياسة، والمراقبون لهذين، أن تقع أحداث كبرى وعمليات فاصلة تؤثر فى سير الحرب، بل تقلب اتجاهها، وتأخذ بأزمّة الموقف من يد إلى يد

والأعوام الثلاثة التى انقضت إنما كانت — بالنسبة لبريطانيا أعوام دفاع عن النفس وسد الثغرات التى فتحتها الحرب وتفادى الضربات الهائلة التى ضمّنها العدو غاية قوته

وإذا كانت الحرب اختباراً عاماً لمقدرة الأمة وكفايتها فى نواحى الإنتاج والعسكرية والتفكير ونوع الرجال فانها أيضاً امتحان للعزائم والقوى المعنوية والصبر على الكوارث التى لا مندوحة عن لقائها فى الطريق إلى النصر. ولذا يجب ألا ننسى « عامل الوقت » الذى هو حليف قوى لبعض الأمم، وعدوّ مروع للبعض الآخر

وقد مرت بريطانيا بمحن وكوارث جلى وتجرعت كأس الحرب المريرة إلى نهايتها. ولكن ذلك لم يفت فى عضدها فمضت فى سبيلها بين

دهشة المراقبين ، فنجت من كارثة دنكرك ، وصمدت للحملات الجوية العاتية فى عام ١٩٤٠ ، ثم بدأت الأمور تتغير لصالحها ، فإذا الولايات المتحدة تشد أزرها ثم تدخل الحرب فى صفها ، و إذا بها توثق علاقاتها بروسيا والصين ، فأصبحت أربع قوى عظمى تقاتل لغاية واحدة — مع معاونة بلاد أخرى — قتال الواثق المطمئن إلى نتيجة هذا الصراع العام .

ولا نعنى ببيان ذلك أن هناك قوما موعودون بالنصر ، وآخرين بالهزيمة ، ولكن فى مثل هذه الحرب العالمية الجامعة لا يكون الأمر وقفاً على قتال الجنود فحسب أو كسب معركة هنا أو هناك ، ولكن النصر فى هذه الحرب هدف شاق تتشعب وسائله وتتعدد عوامله وتحشد من أجله قوى مختلفة مادية وسياسية وفنية ومعنوية يجهد كل فريق فى إعداد نفسه بها ، ودور المراقب الحربى هنا أن يلاحظ كفتى الميزان ، وأن يستمر على هذه المراجعة ولايتسرع فى الحكم أو يجنح إلى الاهواء لأن مفاجآت الحرب كثيرة ، وقد حفلت سِيَر الحروب بحادثات لم تخطر ببال ، قلبت سير الأمور وغيرت مصائر الأحوال

وهذه روسيا خير ما يمثل به فى هذا الشأن ، فقد نزلت بها الهزائم الماحقة دون أن تفقد حيويتها أو يضعف تصميمها ومضت فى صراعها الجبار ، والناس يتوقعون نهايتها أسبوعا بعد أسبوع ثم شهراً بعد شهر . . حتى وقفت وقفتها المشهورة فى «ستالينجراد» ، وغيرت «معركة خاسرة»

وجه الحرب الألمانية الروسية ، بل كانت تلك المعركة حدثاً فاصلا فى الحرب العالمية ، وكانت أخطر ضربة منى بها الجيش الألمانى بعد أن وصلت جهوده أقصاها و بلغت قوته منتهاها

و يلاحظ المتتبعون لهذه الحرب أن الجهود السياسية لم تنته بحال ، فنى أشد أدوار الحرب لم تنكمش السياسة أو يفتر نشاطها ، بل ثبت أن المساعى السياسية قد فعلت فعل الانتصارات الحربية ، ومهدت طرقا وأزالت عقبات ، ولعبت دورها فى تغيير الأوضاع ، فوجدنا التحول فى الرأى والانقلابات الخفية وانتظار الساعات الملائمة للانتقال من يمين إلى يسار ، فالشكل السياسى الذى عرف به العالم قبل أعوام كان يتغير عاماً بعد عام

وقد لاحظ الخبراء أن هـذه الحرب حرب صناعات وموارد فتتبعوا خطط الإنتاج عند كل فريق ، فإذا ما دخلت أمريكا الحرب أدركوا سلفاً ما سيكون من شأن مواردها وصناعاتها ، فلم يمض عامان حتى أصبح التفوق فى الإنتاج الحربى ملحوظا بجلاء ، وأهم ما يلفت النظر فيه ذلك التفوق المتزايد فى الطائرات الذى أدى إلى سيادة جوية مطلقة . وقد وضعت أمريكا سياسة واسعة النطاق لإنتـاج الأسلحة الحديثة ، ليس لحاجة جيشها فحسب ولكن لمد حلفائها بكل ما يحتاجونه من أسلحة ومعدات ، كما كانت هذه السياسة موضوعة أيضاً لفكرة

السرعة فى إنهاء الحرب والتخلص من مقاومات العدو فى أقل وقت مستطاع .

وقل مثل هذا فيما أعدته لإنتاج أنواع الدبابات والسيارات والسفن وغيرها من معدات الحرب مما لا يقل صناعة ومضاء عما يملكه الأعداء ، وكان لهذا التفوق فى التسليح أثره فى موضوع النشاط البحرى وأخطار الغواصات ، وشد أزر الجيوش البرية ، ومساعدة الحلفاء ، وتنشيط الحركات الثورية فى البلاد المحتلة وتشجيع البلاد المحايدة وغير المحاربة على إعادة النظر فى مواقفها . .

وقد حدث تحسن فعلى فى موقف الحلفاء من الناحيتين السياسية والحربية فكثر التحدث عن الجبهة الثانية ومشروعات الهجوم ، بل كثر التفكير وعقد الاجتماعات لبحث ما أسموه « مشاكل ما بعد الحرب » فأصبح التفاؤل سائداً فى دوائر الحلفاء الذين شدّد من عزمهم أن الوقت كان يكسبهم حيناً بعد حين مكاسب غير هينة .

وإلى هذه الفترة التى نحن بصدد الحديث عنها لم تكن القوات الإنجليزية قد هزمت بصفة نهائية فى مصر ، بل كانت قد استعادت الأمور ، وعلى الرغم مما كانت قد تعرضت له فى بعض الجولات من ضربات صائبة فإنها بقيت صامدة ، تتقدم حين تبدو الأمور فى صالحها ، وتتراجع حين تلتوى هذه الأمور ، وتكابد فى هذه المراحل أهوال القوات العسكرية

العاتية وحملات العوامل الطبيعية القاسية دون أن تنتهى حيويتها أو تفارقها الثقة فى أمر النتيجة الأخيرة

ولذلك لم يكن المراقبون الحربيون يدّعون الغيب حين قدروا ما ينتظر سير الحرب من انقلاب وما سيحمله العام الرابع من أسباب التوفيق وعوامل التأييد لخطط الحلفاء مما ينتهى بزمام الأمور إلى أيديهم

وكان الميدان الأفريقى متجه الأنظار بعد أن وصل زحف المحور إلى مرحلة خطيرة داخل الأراضى المصرية ، ولكن هذا الزحف أوقف عند العلمين حيث أخذ الموقف يتطور لصالح الإنجليز ، وتمكن المدافعون من أن يصبحوا مهاجمين

ولا يغيب عن البال أن السيطرة على البحر المتوسط كانت ذات أهمية كبرى للفريقين المتحاربين ، فلم يكن عجيباً أن يجمع كل فريق غاية ما يستطيع من قوة حتى وصلت الاستعدادات إلى أقصاها ، وبدت حالة توتر عنيفة توشك على الانفجار والتطور إلى فعال واسعة النطاق

وقد جاء الحدث المنتظر فى الثالث والعشرين من أكتوبر حين بدأ الإنجليز هجومهم الكبير ومعهم المحاربون الأحرار وقوات الجو الأمريكيــة لحطم ذلك الهجوم قوات المحور وأنزل بها هزيمة كاملة فارتدت ارتداداً مضطرباً عاثراً وغادرت الحدود المصرية *

---

* تفصيل ذلك فى كتاب « حرب الصحراء المصرية » للمؤلف ، وفيه تاريخ ما حدث فى صحراء مصر من البداية إلى النهاية

وكتب الجنرال مونتجمرى معركة من المعارك الفاصلة فى الحرب ولم يمض اثنا عشر يوماً من بدء القتال حتى صرح بأن « العدو الآن فى قبضة يدنا . . وهو على وشك الدمار ، وقد أتيحت لنا الفرصة للقضاء على القوات المدرعة ولا بد أن نفعل ذلك ، لقد أضحى النصر النهائى قريب المنال . .

ثم قال : « إن المعركة التى ربحناها ليست إلا بداية المهمة الملقاة على عاتقنا وهى طرد المحور من شمال أفريقيا . . »

ولم تلبث الحوادث أن جاءت محققة ما كان يتوقعه الكثيرون من وراء هذه الاستعدادات المتزايدة والمقابلات بين زعماء الحلفاء فى وشنطن وموسكو والمحادثات العسكرية بين الرؤساء العسكريين، فكان حشد الجنود والعتاد فى صحراء مصر بصورة لم يسبق لها مثيل ثم الهجوم الباهر فى العلمين من الأدلة المحدثة بما تتوخاه القوات المتحالفة من فعال فاصلة

أما ماحدث من الانتصار فى هذه المدة فلم يكن سبب التحول لأن مثله قد حدث من قبل ، وتبادل الفريقان حبال الموقف فى غير مرة ، ولكن الجديد فى هذا الصراع هو ما حدث فى السابع من شهر ديسمبر ٤٢ وعد من الفعال الحاسمة فى الحرب

ففى هذا التاريخ الذى لن تخلو كتب الحرب العالمية الثانية من الإشادة بنتائجه نزلت قوات أمريكية وإنجليزية ضخمة العتاد فائقة

الاستعداد نزولها الموفق فى ساحل أفريقيا ، فبدأت بشائر التحول وبوادر الانقلاب

وقد كان المستر ويندل ويلكى — الرجل الثانى فى أمريكا — من الأقطاب الذين أشاروا بتصريحات إلى خطط المستقبل فكان مما قاله :

« إن الهدف الذى يرمى إليه الحلفاء هو تحرير ساحل أفريقيا الشمالية من قبضة المحور ثم القيام بهجوم ما فى ناحية من أوربا . . »

فلما وصلت القوات الأمريكية إلى الشاطىء الأفريقى قال :

لقد بدأنا العمل حقاً



ايزنهاور
القائد العام للحملة



مارك كلارك
قائد الجيش الخامس
الأمريكى



اندرسون
قائد الجيش الأول
الأنجليزى

قادة الحملة الأنجليزية الأمريكية

الحملة الإنجليزية الأمريكية

في يونيو سنة ١٩٤٢ طرأت على أذهاننا سانحة
كانت بداية لتلك السلسلة من بنات الفكر التي انتهت
إلى حادث تاريخي ، وهو نزول القوات الأمريكية
والبريطانية في شمال أفريقيا
وسوف يثبت التاريخ أن هذا المشروع العظيم خير
مثل يحتذيه من يريد أن يشهر حربا على عدو له . .

ونستون تشرشل

كان قد تم إعداد المسرح لفصل الهجوم
ودق ناقوس الافتتاح في الثالث والعشرين من أكتوبر عام ١٩٤٢ يوم بدأ الهجوم الكبير في ساحة العلمين
ثم رفع الستار في الثامن من نوفمبر عن أقوى مشاهد الحرب الأفريقية وآخر فصولها .
وسمع العالم صوتاً عالياً مؤمناً بالحرية والإخاء والمساواة يعلن أن قوة أمريكية كبيرة مدججة بأمضى أنواع الأسلحة الحديثة نزلت على سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي على طول المستعمرات الفرنسية

وهـذا العمل قد نظم مع الحملة البريطانية فى صحراء مصر لمنع جيوش المحور من احتلال أى جز من شمال أو غرب أفريقيا « وكانت هذه الأعمال قد أصبحت ضرورية بسبب تهديد المحور المتزايد لهذه الأراضى . . »

وأقبلت عبر الأطلنطى أكبر حملة اجتازت البحار وأعظم قافلة عرفها تاريخ الحرب فقطعت ألوف الأميال ووصلت فى اللحظة المحددة على الرغم من مجراها المحفوف بخطر الطائرات والغواصات ، وتم إنزال مائة وأربعين ألفاً أو تزيد فى أماكن عديدة وفى أوقاتها المقدرة

وكانت هذه الحملة التاريخية مكونة من قوات برية وبحرية وجوية أمريكية تشتمل على جنود الهجوم ووحدات من القوات التى تحملها الطائرات وزهرة وحدات الطيران الأمريكى ، وكان القائد العام لهذه الحملة الجنرال الأمريكى ، دوايت إيزنهاور ، ويعاونه الجنرال مارك كلارك قائد القوات البرية

ويعد هذا المشروع الذى أعده الحلفاء بعناية أقوى الأعمال الحربية التى نهضوا بها فى هذا الصراع الكبير ، فقد جاءت مئات السفن من الشاطىء الآخر للأطلنطى ، ذلك الخضم الرهيب ، ومن المياه الإنجليزية ، وهى تعج بخيرة جنود الهجوم والمحاربين الفدائيين الذين ذكرت الأنباء أنهم كانوا يجهلون وجهة إبحارهم

وقطعت بعض هذه البواخر والسفن ثلاثة آلاف ميل فى رحلة

مخيفة لم يكن لها سابق ، ودون أن ترتكن إلى قواعد متوسطة ، ثم انتهت بهذا التوفيق الذى يدعو إلى الإعجاب بسلامة الخطة ودقة النظام ووفرة الاستعداد .

وكانت صنادل الهجوم تنقل هذه القوات العظيمة فى حراسة الطائرات والطرادات والمدمرات ، وكان الأسطول الانجليزى يحمى نزول القوات فأقام حلقة خارج الجزائر وغيرها من مواضع الهبوط فى الموانى المكشوفة بينما راحت الزوارق تنقل الجنود إلى الشاطىء

واشتركت فى الحملة قوات انجليزية كبيرة وعدد من جنود المظلات وكان يتولى قيادة الجيش الأول الجنرال اندرسون ، والأعمال الجوية الإرمارشال وليام ولسن وكان الأسطول وجميع العمليات البحرية تحت قيادة الأميرال كننجهام

وهبطت قوات كبيرة من رجال المظلات فى أماكن مختلفة من أفريقيا الفرنسية حملتهم إليها طائرات النقل الأمريكية فى حراسة طائرات مقاتلة ، وكان عليهم القيام بعدة استكشافات هامة واحتلال المطارات ونقط المواصلات الرئيسية ، ومعاونة وتنظيم الجهود الفرنسية ، وتمهيد الطريق للأعمال المقبلة

وتوزعت الحملة الأمريكية فى ثلاث قيادات رئيسية اتجهت الأولى إلى المغرب الأقصى واتخذت الدار البيضاء « كازا بلانكا » مركزاً لها

واتجهت القوتان الباقيتان إلى بلاد الجزائر واتخذتا مينائى الجزائر ووهران مراكز أعمالها

وكانت مواضع نزول القوات فى صافى ومراكش و بورنيقة ووهران ومدينة الجزائر وموجادور وفضالة وميناء ليوتى وكازا بلانكا وفيلبفيل

أما أغراض الحملة الأمريكية الانجليزية فنوردها فيما يلى :

(١) عدم تمكين المحور من استخدام المياه الاقليمية الفرنسية فى تونس لتوصيل الإمدادات إلى قواته فى الصحراء

(٢) احتلال تونس قبل أن يحتلها الألمان ، وهذا جزء من الخطة العامة لحصر قوات المحور والقضاء عليها فى شمال أفريقيا ، والعمليتان الهجوميتان فى شرق وغرب أفريقيا هما شطرا فكرة واحدة استراتيجية وسياسية جهزتا لبلوغ غرض حربى كبير

(٣) التعاون مع قوات فرنسا وضمها إلى الحلفاء كقوة محاربة ، وقد جاء فى بيان الجنرال إيزنهاور أن هذه العملية « عملية حربية موجهة ضد قوات المحور ، وغرضنا الوحيد هو إهلاك عدونا المشترك وتحرير فرنسا » .

(٤) فتح البحر المتوسط أمام قوات الحلفاء الجوية والبحرية

(٥) تهديد المحور وتشتيت أفكاره وقواه فيما يختص بموضع الجبهة الثانية

(٦) تسهيل مشروع الهجوم على أوربا بعد إتمام احتلال

الساحل الإفريقي وتأمين المواصلات البحرية ، و يؤيد ذلك قول مستر تشرشل « لقد جئنا إلى افريقيا الشمالية جنباً إلى جنب مع أصدقائنا وحلفائنا الأمريكيين لغرض واحد فقط هو الحصول على أرض نفتح منها ميداناً جديداً »

(٧) تخفيف الضغط الذى كان الروس يلاقونه فى ذلك الوقت من أشد هجوم ألمانى على جيوشهم وذلك بجعل الألمان يضطرون إلى إرسال قوات إلى أفريقيا وأخرى إلى السواحل المحتلة لتأمينها ضد الأعمال الهجومية المنتظرة

(٨) منع المحور من الحصول على معادن شمال أفريقيا والمواد الغذائية التى يمد بها قواته وأداته الحربية

وقد اتخذت الترتيبات لتوضيح وجهة النظر الأمريكية الإنجليزية للفرنسيين وأهالى تونس ، ففى أثناء بدء الأعمال وفى اليوم الذى أعقب نزول القوات إلى البر كانت الطائرات تقذف المنشورات ، وكان بعضها يتضمن نداءات الرئيس روزفلت و بيانات القائد العام ، وأجدرها بالذكر البيان الذى أذاعه الرئيس الأمريكى إلى الشعب الفرنسى والفرنسيين فى شمال افريقيا وقد جاء فيه « لقد جئنا إليكم لنسحق أعداءكم ونقضى عليهم لا لشىء آخر ، فقدموا إلينا معونتكم بقدر مايمكنكم . . وسنشهد جميعاً عودة اليوم المجيد الذى تسود فيه حرية

العالم . . » وأعلن أن السيادة الفرنسية على هذه الأراضى لن تمس إطلاقاً .

وقد أذاعت وزارة الخارجية البريطانية تعقيباً على ذلك أن حكومة صاحب الجلالة « تؤيد كل التأييد ما ينطوى عليه بيان الرئيس من سياسة وما تضمن من مبادىء سامية ، وليس لحكومة جلالته سوى رغبة واحدة فى علاقاتها بفرنسا وهى التعجيل باليوم الذى ينضم فيه جميع الفرنسيين فى كل مكان ويتحدون لإعادة استقلال فرنسا وعظمتها . . »

ورغماً من كل هذه التأكيدات والتمنيات أصدر المارشال بيتان أمره إلى القوات الفرنسية فى شمال أفريقيا بقيادة الأميرال دارلان والجنرال جوان بأن تقاوم نزول الحلفاء إلى البر

وحدثت مقاومات فى البداية كان أشدها فى ساحل الأطلنطى من جانب الوحدات البحرية الفرنسية وبطاريات السواحل ، وحدثت عدة مصادمات لا يمكن أن توصف بأنها معارك بين القوات الفرنسية وقوات الحلفاء التى لم تكن تتوقف بل كانت فى بعض الأنحاء تمضى فى سرعة كبيرة

وقد حدث فى فرنسا حدث جديد فإن القوات الألمانية أتمت احتلال فرنسا وقيل إن هذا الاجراء يرمى إلى الأغراض الآتية : —

(١) السيطرة التامة على فرنسا والاستيلاء على الأسطول

(٢) تحسين المواصلات مع إيطاليا إذا هوجمت

(٣) الاستيلاء على قواعد فى غرب البحر المتوسط

(٤) تقوية الشاطىء الجنوبى لأوربا

ومهما يكن من أمر هذا الإجراء فإنه أحدث تأثيراً سيئاً فى أفريقيا الفرنسية ، ويوما بعد يوم كانت الأحوال تتغير فى صفوف الفرنسيين فقويت حركة الجنرال ديجول وبدأ أنصاره ينضمون لقوات الحلفاء بمعنى أن تنتظم قواتهم فى وحدات فرنسية مشتركة فى الأعمال الحربية إلى جانب الحلفاء ، ثم قدم الأميرال دارلان الذى خالف وجهة نظر المارشال بيتان وطلب إلى قوات الاحتلال أن تنضم إلى الحلفاء ، وظهر الجنرال چيرو الذى فرّ فى الوقت المناسب من معتقله فى نيس بفرنسا وقدم إلى شمال أفريقيا وقت بدء الحملة وسارع بإعداد جيش كبير بعد أن قلده دارلان قيادة الفرنسيين

وآزرت الولايات المتحدة حركة الفرنسيين المحاربين وأمدتهم بالسلاح والذخيرة والملابس، وأصبحت فرنسا ممثلة بقدر كاف فى نضال الأمم المتحدة

ولم يمض أسبوع على بدء الحملة حتى توقف القتال فى كل مكان بين القوات المتحالفة والقوات الفرنسية التى صدر لها أمر بذلك من الأميرال دارلان ، وقد أعلنت الهدنة فى مراكش وأمضى الاتفاق بين القائد العام فى شمال أفريقيا وقائد الجنود الأمريكين ، وانقلبت

مقاومات الفرنسيين إلى وجه قوات المحور التى كانت تصل إلى تونس بوحدات كبيرة

. واستقر الأمر للحلفاء فى المغرب ومراكش ، والجـزائر واتجه الزحف إلى تونس

وكان الرئيس روزفلت قد أبلغ السلطات الفرنسية والباى بأن قوات الحلفاء تنوى اجتياز تونس لتدمير مقاومات المحور فى شمال أفريقيا ، « وقد تناهى إلىَّ أن الألمان والطليان كانوا يطمعون فى احتلال تونس والسيطرة عليها ، فأرسلت تلك القوات العظيمة لتتعاون مع قوات فرنسا ومعكم للدفاع عن بلادكم ، وليس لهذه القوات من غاية سوى تحطيم أعدائنا المشتركين فى أقرب فرصة . . وفى حولى أن أثق برجاحة إدراك الچنرال ستيفا — المقيم الفرنسى العام — وفهمه الحق صداقة أمريكا الخالدة لفرنسا ، وقد عقدت العزم على شد أزر مقاومة الفرنسيين وأهل تونس . . »

والتقت أغراض الفريقين عند تونس التى أصبحت حلبة السباق وسيكون للفائز فيها مركز خطير حقاً

وكانت قوات ألمـانية متنوعة قد نزلت فى تونس و بنزرت و بعض القواعد الأخرى ، وأخذت هـــذه القوات تشـد أزرها الغواصات والطائرات تسعى لعرقلة وتعطيل زحف الحلفاء ، بينما كانت تتلقى الإمدادات ،وجمع كل من الفريقين غاية جهده استعداداً لخوض صراع

كبير من أجل تونس ، مفتاح المنطقة الوسطى من البحر المتوسط ، وقاعدة الألمان الممتازة التى يرى الحلفاء ضرورة السيطرة عليها لكى يصبح بقاء قوات المحور فى افريقيا مستحيلا

وعززت قوات المحور بإمدادات وافية ، وطائرات وغواصات بذلت جهداً كبيراً فى مضايقة أعمال الحلفاء ، وكسب الألمان الشوط الأول فى عمليات تونس وأرسو قاعدة أعمالهم التى تولاها الچنرال نهرينج ، من مشاهير القواد الألمان والقائد الشديد البأس الذى عرف فى الميدان الروسى باسم « جزار موسكو »

... فقد كان لا يريد أسرى ولكن قتلى

استعد كل من الفريقين لعمليات كبرى محتملة الوقوع بسبب تونس وفى يوم ١٨ نوفمبر أصدرت قيادة الحلفاء فى شمال افريقيا بلاغاً جاء فيه أن وحدات الجيش الأول البريطانى بقيادة الچنرال اندرسون ومعها جنود من فرق المظلات الأمريكية والإنجليزية والقوات الفرنسية دخلت منطقة تونس من عدة نقط والتحمت مع وحدات العدو الاستكشافية ، وقدّر عدد الجنود التى نفدت إلى تونس فى ذلك التاريخ بثلاثمائة ألف مقاتل مسبوقة بجنود فوق المظلات ، وقد اشترك فى هذا الزحف نحو ثلاثين ألف فرنسى تحت إمرة الچنرال چيرو

وكانت خطة الحلفاء ترمى إلى « تقطيع أوصال تونس » بالزحف عليها زحفاً مثلث الشعب ، يضغط على قوات المحور من الغرب والجنوب

الغربى والجنوب الشرقى . أما الأهداف المباشرة فكانت طبرقة (على الساحل) وسوق العرب (جنوبها) ومدينتى تونس وبنزرت وهما أهم القواعد .

كما كانت تفكر فى أمر رجعة روميل وتضع الخطة لدق أسفين يفصل قوات الچنرال نهرينج عن قوات روميل بعد وصولها .

و بدأ الصدام فى الأراضى التونسية . وكانت المعارك الجوية متأججة النيران ، واشتركت فيها أحدث الطائرات الأمريكية وأقوى الأنواع الألمانية ، وقوة عظيمة من القلاع الطائرة من طراز « بوينج » التى طغت على قوة المحور الجوية

وكللت الأعمال البرية بنجاح فاق ما كان منتظراً — على حد ما وصفه الرؤساء والقادة — وانتهت المرحلة الاستراتيچية ، و بدأ فصل العمليات التكتيكية الفاصلة فى أمر تونس ومصير الحرب الأفريقية

فرنسا الحرة تعمل

قضى الأمر ، وحلت المحنة وكفت فرنسا عن مقاومتها بعد الهزيمة الفاجعة ، وطلب المارشال بيتان إلى الحكومة الألمانية شروطها لعقد الهدنة .

وكانت انجلترا قد اقترحت على زعماء فرنسا إنشاء «دولة انجليزية فرنسية متحدة» ولكن الخطر كان أسرع مما يتوقعه الجميع ، فسقطت وزارة رينو وشكل المارشال بيتان الوزارة وأمضى الهدنة مع ألمانيا فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٤٠

وقسمت فرنسا إلى قسمين : فرنسا المحتلة ومركز إدارتها باريس، وفرنسا المستقلة (أو غير المحتلة) وعاصمتها فيشى ، ثم تولى فيليب بيتان جميع السلطات وأصبح رئيس الدولة فألغى الدستور الجمهورى وجعل دستور فرنسا الجديد « العمل والأسرة والأخوة » وسعى إلى الاتفاق مع ألمانيا

وقد رأى مستر تشرشل أن هذه الهدنة مجحفة ظالمة « فهى تضع فرنسا تحت رحمة المحور وسلطانه ، وتمكنه — بموافقة حكومة

بوردو — من استخدام الموارد والأراضى الفرنسية فى مهاجمة الحلفاء »

ورأى هذا الرأى بعض الفرنسيين وعارضوا الهدنة ودعوا لمقاومة المحور فى المستعمرات الفرنسية ، وتزعم هذه الحركة الچنرال ديجول ، القائد الفرنسى الحصيف ، فقد جاهر بمعارضته لسياسة بيتان وأخذ فى تنظيم قوات فرنسية حرة فى انجلترا والمستعمرات الفرنسية للدفاع عن استقلال فرنسا والاشتراك مع الحلفاء ضد المحور

وقد وصل إلى اتفاق مع الحكومة الانجليزية فى ٣ يوليو سنة ١٩٤٠ ، فاعتُرف به زعيما لحركة الفرنسيين الأحرار ، وأذاع بياناً على « الجنود الفرنسيين — أينما كانوا — أن يقفوا بثبات وأن لا يلقوا السلاح لأن هـذه الفعلة أكبر جرم فى حق الوطن الكبير » وراح يناقش بيتان أسباب النكبة الفرنسية ويسأله « غلطة من كانت هذه يا سيدى المارشال ؟ ... إن المجرمين فى حق فرنسا هم الذين أخروا وحطّوا من استعداداتها الحربية ... هؤلاء الذين كانوا وزراء الحربية وقواد الجيش ... » ثم أهاب بجميع الأحرار أن يتبعوه ، وبالمعتقلين أن ينتظروه لأن العدالة ستحل عند ما يأتى النصر . .

ولقيت حركة ديجول أنصاراً عديدين فى كثير من المستعمرات الفرنسية التى انضمت إليه وفى البلاد المحايدة ، وعارضت فيشى هذه الحركة ووقفت فى وجه انجلترا فى سوريا ، ولم تخل العلاقات بين فيشى وأفريقيا الشمالية الفرنسية من الأزمات ووجوه الخلاف

وقد اشتركت قوات فرنسا الحرة فى حرب الصحراء ، فكانت إلى جانب الجيش الثامن فى جولاته ، واشتهرت هذه القوات بدفاعها عن بير حكيم فى يونيو سنة ١٩٤٢ تحت قيادة الچنرال كوينج . . وعند ابتداء معركة العلمين كانت فرنسا ممثلة بنصيب مشهور فى نضال الأمم المتحدة فاشتركت فى تلك المعركة أكبر قوات للفرنسيين الأحرار بقيادة الچنرال د لارمينا

ولما حدثت حملة أفريقيا دعا الرئيسان روزفلت وتشرشل الفرنسيين لتأييدها وتوحيد الصفوف لخوض القتال إلى جانب الحلفاء . وقد جاء فى إذاعة رئيس الحكومة الانجليزية أنه يجب أن يقف الفرنسيون وقفة رجل واحد فيضموا صفوفهم ويتحدوا عملا وروحاً : « وها هى الساعة التى يجب فيها على كل فرنسى أن ينسى أحقاده وأن يفكر فى تحرير الوطن . . كما فكر الچنرال ديجول »

وقد أذاع الچنرال ديجول دعوة لجميع الفرنسيين الأحرار يقول فيها « لقد تعهد الحلفاء بإدخال شمال أفريقيا الفرنسية فى حرب التحرير، وقد وفقوا كل التوفيق فى اختيار وقت العمل ، وها هى اللحظة قد أتت وعلينا أن نبذل كل ما نستطيع . . »

وكان المارشال بيتان ، رئيس الدولة ، قد أصدر أمره — كما قدمنا — بمقاومة أعمال الحلفاء ، وعين الچنرال نوجس فى ١٠ نوفمبر مندوباً عنه فى أفريقيا فلما وصل إلى الجزائر وجد الأميرال دارلان قد

وصلها فتفاهما على الموقف — وكان الأميرال دارلان فى جولة تفتيشية قبل وصول الحملة الأمريكية واحتلال بقية فرنسا — وسلم نوجس إلى الأميرال سلطانه ووضع نفسه تحت أوامره ، فتقلّد دارلان تبعة المحافظة على المصالح الفرنسية فى أفريقيا وصادقت على ذلك السلطات الأمريكية التى اعتزم العمل معها ، وقد أصدر الچنرال كلارك نشرة بذلك جاء فيها إن الچنرال إيزنهاور سيعمل بالتعاون مع الأميرال دارلان على الدفاع عن شمال أفريقيا

وقد يلوح من هذا الإجراء أن حركة الفرنسيين الأحرار قد أصبحت بين فريقين يتجاذبان أزمّة الأمور ، فهناك الچنرال ديجول الذى يعمل مع انجلترا ، وهناك الأميرال دارلان تؤيده السلطات الأمريكية ، ومهما يكن من الأمر فان الحركة ذات الشعبتين كانت تعمل فى غاية واحدة

وقد ظهر الچنرال چيرو أيضاً فى أفريقيا ، وهو القائد الفرنسى الباسل الذى بُعث به فى وقت الأخطار الماحقة ليصلح غلطة « كوراب » ويمنع تدفق الغزاة الألمان من الثغرة المشئومة فى الاستحكامات الفرنسية ، ولكنه بعد قليل وقع فى أيديهم ، وقد استطاع الفكاك من الأسر بأعجوبة لم يكتشف سرها بعد ، فاختفى من معتقله فى نيس ثم جاء إلى شمال أفريقيا وأذاع بياناً قال فيه : « هذه فرصتنا للعودة إلى الحياة فلا يسعنا أن نهملها ، ليس لنا سوى أمنية واحدة هى فرنسا ، وليس لنا سوى هدف واحد هو النصر »

ورأى الأميرال دارلان أن « من مصلحة فرنسا وحرصاً على الصالح العام فى شمال أفريقيا أن يعين الجنرال جيرو — ذلك القائد العظيم — قائداً عاماً فى أفريقيا وهو الذى خدم فرنسا بشرف دائماً »

فأذاع جيرو على جنوده : « إننى ، بعد أن عيننى الأميرال قوميسيراً عاماً فى أفريقيا ، تسلمت مقاليد القيادة العامة لقوات فرنسا البرية والجوية ، وليس لنا سوى عدو واحد هو الذى احتل وطننا، فيجب علينا أولا أن نطرده من أفريقيا ثم من فرنسا ، وستكون مهمتنا شاقة لأن عدونا شجاع وكامل السلاح ، ولكنكم بفعالكم المجيدة قد أظهرتم ما أنتم جديرون به »

ولم تر اللجنة الفرنسية لتحرير الوطن — برئاسة الجنرال ديجول أن تشترك « بأى شكل من الأشكال فى المفاوضات الدائرة فى أفريقيا الفرنسية مع ممثلى فيشى » وتنصلت من هذه المفاوضات ، إلا أن ذلك لم يمنع — كما قدمنا — من استمرار الأعمال فى الطريق المطلوب السير فيها بغير إضرار بالمصلحة العامة

وشرع الجنرال جيرو فى مهمته و بدأ العمل بوقف ما كان قائماً من المقاومة الفرنسية وأخذ فى إعداد الجيش الجديد ، واعتُبر فى شمال أفريقيا زعيما سياسياً ، فقد كانت له مكانة مرموقة حيث خدم كثير من الضباط تحت قيادته وكانوا فى رتب أصغر

وأخذت حركة الفرنسيين المحاربين تنتظم بسرعة حتى تكون

منها قوة حربية مناضلة استطاعت أن تعمل مع قوات الولايات المتحدة، وقد وافق القائد العام على أشد أزر الچنرال چيرو، وتعهدت حكومته بتقديم ما يحتاج إليه الجيش الفرنسى الجديد من أسلحة ومهمات

وبينما كانت قوات الچنرال د لارمينا تشترك مع الجيش الثامن فى زحفه المظفر من العلمين نحو طرابلس كانت قوات چيرو تأخذ مكانها بين القوات الذاهبة شرقاً، فأصبحت فرنسا ممثلة فى معركة البحر المتوسط — وهى تدخل دورها الحاسم — بفكرة تدمير المحور وإعادة فرنسا إلى مكانها الطبيعى

ولم يفت تشرشل أن يصرح بتلك الآمال فى خطبته التى ألقاها فى منتصف نوفمبر معبراً عن إيمانه ويقينه: «بأن فرنسا ستنهض مرة أخرى من كبوتها، لأنه ما دام هناك رجال أمثال ديجول وجميع الذين يناصرونه والجنرال چيرو ... الجندى الباسل الذى لا يمكن أن يسعه سجن من السجون . . فإن ثقتى بمستقبل فرنسا لا تتزعزع ... »

مع الجيش الثامن

لم توضع خطة الهجوم فى العلمين لمجرد غايات متواضعة ، ولم تكن كسابقاتها ترمى إلى التغلب على دفاعات العدو أو طرده إلى الوراء بعيداً عن الحدود المصرية فحسب ، ولكنها كانت خطة زحف كبير ، إن لم يعجل بالقضاء على الخصم فسيتبعه إلى نهاية الطريق بعد مئات الأميال

فهذه المعركة — العلمين — وهي ذاتها معركة كبرى وعمل عسكرى عظيم ، قد وضعت وحدد وقتها لتكون مقدمة وجزءاً من المشروع الضخم الذى أراد به الحلفاء تدمير قوات المحور و إنهاء آخر مقاومة لها فى أفريقيا . وقد حددت ضربة العلمين بحيث تجىء ملائمة للضربة الأخرى التى جاءت من الغرب ، ولهذا كان لأصحاب هذه الخطط أن يدقوا أجراس النصر عند ما لاحت تباشيره ونجح الچنرال مونتجمرى فى طرد روميل خارج مصر

و إذا كان هذا الذى قدمنا هو غرض الجيش الثامن أمكن للقارئ أن يدرك مبلغ ما بذل من المجهود وما حشد فى ساحة العلمين من قوات وأسلحة وذخائر ومعدات ، ليس للقوات البرية وحدها



مستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية
يصافح الجنرال مونتجمرى قائد الجيش الثامن مهنئاً

« وإنى فى شك من أنه أتيح لأمبراطوريتنا من قبل أن كانت لديها أداة قتال رائعة تحاكى الجيش الثامن الذى لا يبعد أن يصبح أحدوثة الناس فى جميع أنحاء العالم . . »

مونتجمرى

ولـكن لقوات البحر والجو ذات المجهود الفعال والأثر الحاسم فى هذه الحرب .

وكانت الخطة تقضى بأن يبدأ الجيش الثامن هجوماً خاطفاً يصوب فيه للعدو ضربات قاضية سعياً إلى تدمير القوات المدرعة والقضاء عليها كقوة مقاتلة . . وقد نفذ هذا الجزء من البرنامج فكان هجوم العلمين قوياً مفاجئاً لقوات المحور وضربة شديدة أنزلت بها خسارة جسيمة فى العتاد والأرواح وعدد الجنود الذين أسروا . .

ثم اندفعت معركة العلمين رويداً رويدا إلى الأمام ، وكان قتال المشاة ناشباً فى عدة أماكن ، وكل معركة صغيرة تنتهى بالاستيلاء على أرض وأسلحة وأسرى ، بينما شغلت قوات المهندسين و بعض المشاة بتطهير المنطقة من الألغام والمصائد . . وقد كان متعذراً قبل هذه المرحلة من العمل أن تدخل الدبابات لتوجه ضرباتها الحاسمة فأعطى ذلك للمحور فرصة لإعادة التنظيم وسلامة الانسحاب

وهذه الحملة التى ستدرس فى الغد كمشروع حربى عصرى كامل كانت حافلة بدروس الحرب وأساليبها الجديدة ، وكان من أبرز مظاهرها تعاون أسلحة الحرب الثلاثة ، فالجيش نال تأييداً هاماً من الجو ، كما تكفلت القوات البحرية بتدمير وسائل التموين البحرية فى البحر المتوسط ، وكان الهجوم على مواصلات المحور هجوماً مستمراً قوياً عملاً جديراً بالذكر نهضت به القوات الجوية والغواصات وسفن الأسطول

وكان سلاح الجو البريطانى المؤيد بمركبات الهواء الأمريكية الضخمة مصدر قوة عظمى ، فالخطة الحربية الكبرى — كما يراها تشرشل — هى أكبر ما يمكن من المعارك الجوية . . وقد كان للقوات الانجليزية تفوق جوى حاسم أمنها من خطر طائرات المحور ومهد لها الطريق ، بضرب المركبات ومراكز التموين ومحلات التجمع ونقط المواصلات

ولم يدع الأسطول فرصة لسفن المحور فوقف لها بالمرصاد وقضى على المحاولات المختلفة التى بذلت لتوصيل الجنود والتموين ، وقام على حراسة الشواطىء وتأمين المواصلات الانجليزية ، وأحرز سيطرة على البحر كانت عاملاً هاماً من عوامل النجاح

وقد كان للقوات الانجليزية ميزة كبرى فى تفوق مواصلاتها على مواصلات المحور ، واستناد هذه المواصلات إلى قواعد عامرة ، وقد اتخذت الترتيبات — التى عززتها التجارب السابقة — لتدعيم هذه المواصلات التى أخذت تمتد بعد وقت مئات الأميال

وكانت محطات الغيار ومستشفيات الميدان تتنقل دائماً إلى الأمام وتؤدى أعمالها بعناية فى تخفيف الآلام و إسعاف الجرحى و إعادتهم بسرعة إلى ساحات القتال ، وكان الأطباء والجراحون والممرضات يعملون بشجاعة ومهارة فى أشد الظروف خطراً وهو أمر يجب أن يحسب بين عوامل النجاح التى لازمت قوات الصحراء

ويوماً بعد يوم كانت أفواج الأسرى تفد بغير انقطاع وتلقى بالأدلة القاطعة على مدى التدهور الذى حل بقوات المحور بينما كانت تسرى فى الجيش الثامن نشوة الظفر وحماسة المنتصر ، ورغبة الآمل فى ضرب عدو طالت مراوغته ، وإنهاء قتال تعددت حلقاته

وقد حالف التوفيق عمليات الجيش الثامن ، بتكاليف بسيطة ، فرد قوات المحور عن العلمين وأتم جلاءها عن الحدود المصرية . ومما يجدر بالذكر — مع أنه سيكون من تسجيل التاريخ — أن مصر أدت ما عليها وقامت بواجبها فى هذه الفترة العنيفة المليئة بالأحداث والمحن ، و بظنى أننا لا نجد لتأكيد ذلك خيراً من الشهادة التى أدلى بها مستر تشرشل عند ما أفضى بتصريحه المشهور عن موقف مصر فقال : « . . فمصر ولو أنها كانت ولا تزال بلداً محايداً فليس من الحق مطلقاً أن يقال إن مصر لم تقم بدور مهم مشرف له قيمته ، لا فى دفاعها عن نفسها فحسب بل فى الصراع العالمى الذى أخذ يتقدم تقدما عظيما نحو نهايته . . »

كما أنه بعث برقية إلى رئيس وزراء مصر يقول فيها : « إننى لا أزال أذكر مع الإعجاب روح الثبات الذى أبدته الحكومة المصرية والشعب المصرى عند ما كان الخطر على أقصاه . . »

وقبل أن ينتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٤٢ كانت جميع مقاومات المحور فى حدود مصر قد أخمدت ، وخطا الجيش الثامن فى ليبيا ،

ودقت الأجراس فى جميع أنحاء الأمبراطورية البريطانية احتفالا بهذا الانتصار العظيم

وفى برقة لم تثبت جيوش المحور وتقاتل وإنما أمعنت فى الانسحاب، واستمر الجيش الثامن فى مطاردته لها، فاحتل البردية ودخل طبرق فى الثالث عشر من نوفمبر، فكان هذا الزحف من الأعمال العسكرية الجليلة، وقد تحدث الجنرال الكسندر عند ما وصل الأمر إلى هذا الحد فقال: « لقد ربحنا الجولات الأولى بصورة قاطعة، وإذا كان هناك عمل يستحق أن يوصف بأنه هجوم خاطف فهو ذلك العمل المثمر الذى قام به الجيش الثامن، إذ وصل من العلمين إلى طبرق فى أسبوع فقطع أربعمائة ميل، وهى عملية شاقة مضنية .. »

وكان روميل — فى تراجعه — يبذل كل ما فى وسعه من نشاط وكفاية لتعطيل الزحف الذى كان ينهب الطريق خلفه، فاستخدم الألغام بمهارة وحذق، ولم يترك خلفه إلا هيا كل محطمة للكبارى والمنشآت التى مر بها، وأدى عمل المؤخرة ببراعة أجهدت القوات الامبراطورية وصعبت تقدمها ومنعتها من الظفر بالطريدة، فاستطاع روميل أن ينجو بقواته من المحنة المروعة التى كادت تصيبه .. ومهما قيل عن الأرباح التى كانت للخلفاء فيجب أن نذكر أن جيش روميل لم يدمر

.. وبلغ الجيش الثامن مشارف طبرق، وأطل الجنود على البلدة

الشهيرة التى شهدت قتالهم الرائع — غالبين ومغلوبين — وكان لهم فيها جولات وصولات . كانت طبرق — كما جاء فى مذكرات أحد الضباط — عالية كأنها تعلن عن مجدها ، مرتكنة إلى البحر كمن يتطلب الهدوء بعد أن طال به العناء . . وشوهدت إلى جانبها البواخر الغرقى والأجنحة الكسيرة ، فقد وقع الحافر فيما حفر ا . . كانت البلدة مهدمة ولكن « التاريخ » أكسبها جلالا ، فكم اهتز البرق لنبأ من طبرق ، وكم اشرأبت الأعناق واحتبست النفوس انتظاراً لحدث فى طبرق . . ها هى اليوم مهدمة صامتة ، ولن تلبث حتى تعود عامرة صاخبة

ثم تحركت القوات إلى درنة و إلى المخيلى ، وفى الطريق شوهدت عدة مزارع صغيرة تحتشد فيها المبانى الريفية الصغيرة ، ولكن دخولها لم يكن سهلا فقد كانت الألغام مخبأة فيها بعناية ومبثوثة فى محتوياتها بمهارة وتمويه

ومن أمثلة ذلك أن المفاتيح والأكر وما يشابهها كانت متصلة بالأسلاك الكهربائية ، فكانت أقل حركة بها تبعث التيار فينفجر اللغم وتقع الخسائر البالغة ، وفي قطع الأثاث والتحف والصور ، وحتى حنفيات المياه . . فانظر كيف يتربص الإنسان بالإنسان !

وقد استمرت المطاردة ولم تخل من وقائع صغيرة كلما اتصل الجيشان ؛ ولكن قوات روميل كانت تتجنب القتال ما استطاعت ،

وكانت خطتها التراجع بسرعة نحو بنغازى ، وكانت هى الميناء الوحيد الذى كان باقياً لدى روميل لتموين قواته ، وتوقع الكثيرون أن تصبح بنغازى ساحة حرب كما حدث غير مرة ، ولكن قوات المحور مرت بها دون أن تبدى رغبة فى الثبات ، وظهر بوضوح أن روميل شارع فى رجعة طويلة لم يصل إليها من قبل ، فدخل الجيش الثامن بنغازى فى ٢٢ نوفمبر

. . وأصبحت أحداث هذه الحرب تجرى على وتيرة منتظمة ، روميل يقيم العراقيل ويبث الألغام ويمعن فى الانسحاب ، ومونتجمرى يجد فى السير متمنياً أن يقطع على عدوه خط الرجعة فيقضى عليه . . فكان سباقاً غريباً أبدت فيه قيادة الفريقين غاية ما لديها من مهارة وجسارة ، وكان للطائرات فى ذلك أثر واضح يظهر فى أن اتساع مدى الأعمال الحربية كان بقدر انتقال قواعد الطائرات إلى الأمام

وسارت قوافل التموين التى لم يشاهد مثلها فى أى حملة سابقة ، وهى تحمل المؤن والذخائر للجيش الثامن ، كما شنت المواصلات سليمة يحميها التفوق الجوى والسيادة البحرية ، والنجاح فى العمليات البرية . . بينما كانت قوات المحور تعانى ضعفاً فى وسائل النقل ومسائل التموين التى تعرضت لضربات شديدة بعد معركة العلمين .

ثم جاء وقت فترت فيه الأحوال الحربية بسبب رداءة الجو ونشاط مؤخرة روميل مستفيدة من هذا الظرف . فكان لزاما أن

تبطؤالمطاردةوخصوصاً بعد أن طالت مواصلات القوات البريطانية كثيراً، وأصبح جلب المعدات من نهاية الخط الحديدى البعيد ، على جانب كبير من الصعوبة

. . وانتهت مطاردة الجيش الثامن لجنود المحور فى سهول لوبيا ، حيث لم تكن الدبابات تلقى عقبات طبيعية فى طريقها ، وبدأت تخطو فى أراض أكثر صعوبة ، وكثبان رملية ، واقتربت من المراكز الأمامية لخط العقيلة الشهير الذى يمتد من البحر عند مرسى البريقة حيث وضع روميل كل ما يملك من قوات فى خط منيع يقوم خلفه واديان عميقان ، الوادى الكبير ، وهو أخدود عميق منحدر الجانبين يمتد من البحر إلى الجنوب بخلف العقيلة ، والثانى وادى زمزم وهو عبارة عن خور كبير كثير التعاريج منبعه فى مجاهل الصحراء جنوباً ومصبه فى كثبان الرمال القاحلة والمستنقعات الممتدة على الساحل جنوبى مسراته

وكانت العقيلة مفتاح الموقف ، فالاستفادة من هذين الواديين وما حولهما من أراض صعبة أصبحت منوطة بالتمسك بالعقيلة والأراضى الممتدة بين العقيلة وسرت ، وهى صالحة للدفاع حيث تجد الدبابات عراقيل شتى فى الأخاديد وكثبان الرمال والمستنقعات .

ولا ننسى أن قوات المحور كانت تواجه الخطر من جهتين، فكان عليها أن تتخذ أحد قرارين: إما أن تزيد خط العقيلة تحصيناً وتثبت فيه ،

أو تسرع بالارتداد إلى تونس لنجدة قوات الچنرال نهر ينج والتضامن معها فى ساحة واحدة

.. ولم تشب المعركة التى كانت منتظرة الوقوع عند مرسى بريقة ، فقد أمضى الفريقان أسبوعين فى شاغل كبير واستعداد لهجوم فاصل ، وكانت دوريات المشاة دائبة فى نشاطها ، وبلغت الاستعدادات أقصاها . . وكان الألمان قد نجحوا فى تثبيت عدد كبير من مدافعهم فى مواجهة ضيقة ، وكانت مدافع الميدان قصيرة المدى موفقة فى عملها ، وقد استخدمت أيضا مدافع ٥ مليمتر التى وصفت قنابلها بأنها « تنطلق كالقطار وتنفجر كالبراكين » .. ولكن ذخيرتها كانت قليلة ولهذا لم تكن تطلق إلا فى فترات محدودة من اليوم

وخرجت الدوريات ليلة كعادتها ولكنها لم تلق النيران المعهودة ، فتقدمت فى المنطقة الحرام ولم تجد ما يمنعها من التوغل مسافات بعيدة ، فقد كان الألمان غادروا مراكزهم فى تكتم شديد ودون أن تبدو عليهم بادرة الانسحاب ، واستمرت نيران مدافعهم ومظاهر استماتتهم فى الدفاع بينما كانت عملية الانسحاب تؤدى بحذر ودقة . . وفى الصباح — عند عودة الدوريات — فُهم الموقف تماما ، فقد انسحب الألمان وأخليت مرسى بريقة نهائيا

وقد أرسل الجيش الثامن قوات الاستطلاع فوراً لتلاحق العدو وتكشف حقيقة الموقف ، بينما استعدت قوات من المشاة والدبابات

ورسمت خططها سريعا لمعاجلة العدو و إحباط مشروع انسحابه ، ولـكن الألمـان ليسوا من البساطة بحيث تفوتهم أساليب الإعاقة ، فقد نجحوا فى تلغيم الطريق والمنطقة المحيطة به فأصبح متعذرا على الجيش الثامن أن يتابع التقدم قبل التخلص من هذه العقبات المبثوثة فى كل مكان ، و بدأت فرق المهندسين وقوات من المشاة فى العمل على رفع الألغام ، وتـكبدت فى ذلك خسائر فادحة قبل أن تصبح الطريق آمنة مرحلة بعد مرحلة حتى العقيلة . .

ولم تطل فترة الانتظار، فقد كان على الجيش الثامن واجب عاجل وهو تخطى العقبات ورفع المصائد وملاحقة العدو وتدميره ، و بغير هذه النتائج تصبح الأرباح الاقليمية قليلة الشأن ، ولهذا شرعت وحدات المشاة تشق طريقها فى المنطقة التى تركها العدو ، ومضت ونظ الألغام التي وضعت بمهارة تحت الطرق وفى نقط متعددة حوله ، وحمل الجنود عبء التقدم فى طريق مملوءة بالعثرات الماكرة ، وكان الخطر الذى يعظم كل خطر — على حد ما وصفته برقيات روتر — هو الشراك الخداعة التى أخفاها العدو فى كل سيارة محطمة ومستودع مهجور أو إناء فارغ ، وفى كل جدار قائم أو حفرة خاوية . .

ولهذا كان الزحف البريطانى بطيئاً ، واستطاع روميل أن يتراجع بأقصى سرعة ممكنة ، ووُصفت العمليات الدائرة بأنها سباق بين قوة تسرع فى الارتداد وقوة تعمل على إيقاف هذا الارتداد ، فكانت

الأولى سلاحها الألغام للتعطيل وقتال المؤخرة للاجهاد . . وكان سلاح الثانية فرق المهندسين لرفع الألغام ، وقوة الجو لضرب المواصلات

ووصلت المطاردة إلى العقيلة

والعقيلة كانت النهاية التى وصلت إليها قوات الجنرال و يفل عند زحفها الجارف فى شتاء ١٩٤١ ، وقد وصفت العقيلة بأنها عنق زجاجة كما وصفت بأنها عنقا زجاجتين وسط منطقة وعرة ذات مستنقعات ، وهى قلعة عسكر ية تشرف على ميناء صغير وتحوطها قلاع قليلة وتحف بها كثبان من الرمال الساحلية من الشمال ، والمستنقعات فى الجنوب

وقال مونتجمرى :

« إننا سنكسب معركة العقيلة ، ولا ريب أن روميل جندى عظيم ولكننا سنهزمه ! إن المعركة التى توشك أن تبدأ ستكون من المعارك التاريخية الحاسمة وستكون أيضاً نقطة التحول فى الحرب وسترجح كفتنا »

وفى الرابع عشر من ديسمبر أعلن رسمياً أن روميل ترك مراكزه فى منطقة العقيلة وأن قواته تتقهقر نحو الغرب

وخرج روميل من العقيلة وأصبح أمامه طريق جيد فى حين كانت القوات البريطانية تجد طريقها مليئاً بالألغام والعراقيل ، أما فى الجنوب فكانت رملية خالية المعالم ، وكان من المشاكل التى يواجهها الزحف مشكلة المياه بين العقيلة وسرت .

على أن جميع مصادر الأخبار أجمعت على أن « إزالة الشراك الشيطانية والألغام والفخاخ الماكرة التى خبأها الألمان » كانت أصعب وأخطر المهام التى صادفها جيش مونتجمرى

وكان روميل يرى أنه من الخطأ أن يثبت لمقاتلة قوات كبيرة فيضعف ذلك من قوته ، ولا يجد القوة الكافية لمساعدة نهرينج فى تونس . . وفى السادس والعشرين من ديسمبر دخل الجيش الثامن سرت

وهدأت الأحوال الحربية بعض الشىء ، وفُهم أن روميل لن يثبت قبل وادى الشبير

وكان لابد من وقفة لمراجعة الموقف وتجهيز الخطة وإتمام الاستعداد . .

وكانت منحة من السماء ليقضى الجنود عيد الميلاد وعيد رأس السنة فى أحوال مناسبة

وبزغ فجر العام الجديد — ١٩٤٣ — وقد قطع الجيش الثامن مرحلة عظيمة شاقة من العلمين إلى سرت وبدأ الزحف فى طريق مديد يبلغ ٤٠٠ ميل إلى طرابلس . وعلى الرغم من سوء الأحوال الجوية والتأخير والجهد فى مكافحة الألغام وقتال المؤخرة فإن الجيش الثامن تقدم بمتوسط سرعة كبيرة .

وكانت الحرب ضد مواصلات المحور وموانيه على أشدها ، وقد

حاول روميل بمناوراته التى يحذقها تقصير خطوط مواصلاته، ولكن ذلك لم يحل مشكلة التموين تماما بسبب سيطرة قوة الجو البريطانية ونجاح غاراتها

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام البيان الذى أذاعته قيادة الحلفاء الجوية فى الشرق الأوسط عن نشاط قوات الجو فى خلال عام ١٩٤٢ ، وقد جاء فيه : « قامت طائرات القتال وقاذفات القنابل المتحالفة خلال الاثنى عشر شهرا الأخيرة بما لا يقل عن ٣٠٠ ألف غارة وأسقطت ما يقرب من ألف طائرة للمحور فى معارك جوية فضلا عن أنها دمرت ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ طائرة فى المطارات ومائة دبابة وسيارة مصفحة ، وخمسة آلاف من ناقلات الجنود والبترول والمياه والمعدات الحربية، فضلا عما أنزلته من الضحايا بين الجنود فى غاراتها الاكتساحية وما حطمته من مستودعات الوقود والذخائر والسفن الراسية فى الموانىء أو التى تحاول جلب الإمداد والتموينات الأخرى »

وفى الخامس من يناير استولى الانجليز على بويرات الحسون ، وهى أول بلدة على الساحل تلى سرت ، وقد دمرت قوات المحور البلدة قبل مغادرتها ونصبت الفخاخ فى أمكنة عديدة ، الأمر الذى أجهد سلاح المهندسين البريطانيين وأضعف سرعة الزحف

هذا فى الوقت الذى زحفت فيه قوة الفرنسيين الأحرار من قاعدتها فور لامى «حصن لامى» فى منطقة شاد تحت قيادة الجنرال لكلير، واتجهت

شمالاً للاشتراك فى القتال فقطعت ٢٨٠٠ ميل فى أراض تعد من أوعر البقاع فى الصحراء ، وقضت على حاميات الواحات الإيطالية واستولت على عدة مراكز وصمدت لهجمات جوية عنيفة حتى دخلت طرابلس وانضمت لقوات الجنرالين كوينج ولارمينا ، وقد كان الجنرال لكلير من الضباط الفرنسيين الممتازين فى معركة فرنسا عام ١٩٤٠ وكان برتبة كابتن (يوزباشى) وانضم إلى الجنرال ديجول الذى أعجب بكفايته فرقاه كولونيل (قائمقام) وبعد فترة أولاه قيادة الفرنسيين فى منطقة شاد ومنحه رتبة الجنرال وهو فى الأربعين من عمره

ونعود إلى سير الأعمال الحربية فنلاحظ أن روميل قد أمعن فى الانسحاب على أساس تعطيل الزحف البريطانى بواسطة قتال المؤخرة وبث الألغام وتدمير كل ما يمكن أن تنتفع الجيوش به وغير ذلك من الأعمال التعطيلية التى تعطيه فرصة الانسحاب بسلام مع تكبيد العدو كل ما يستطاع من الخسائر ، ولم يشترك روميل فى قتال جوى خيفة أن تضعف قواته ، وقد كان عليه أن يصل قويا ما أمكن ليشترك فى المعركة الحاسمة ، إلى جانب الجنرال فون أرنيم ، الذى خلف نهر ينج فى تونس.

وفى النصف من يناير ١٩٤٣ استأنف الجيش الثامن زحفه على طرابلس بادئاً المرحلة الثالثة من حملته التاريخية بعد أن استكملت مسائل التموين والإمدادات ، وتقدم فى الدرب الممتد من الفدامية إلى أبو نجيم وفى المنطقتين الوسطى والجنوبية

وكان روميل يناور بمهارة حتى كأن المعركة على وشك الوقوع دائماً ، ويظل انسحابه على هدوئه وحيطته تاركاً وراءه حقولاً من الألغام والفخاخ .. ولم يدُر قتال فى منطقة زمزم ولو أن المُدافع يجد فيها حاجته، فقد كانت تقع بين المستنقعات الساحلية غربى بويرات الحسون إلى الفدامية ، وهى محصنة تحصيناً طبيعياً يوهن قوى القوات المهاجمة ويجعل مهمة إخراج المدافعين عسيرة كل العسر

وكانت الاشتباكات التى تحدث ، خصوصاً عند بدء كل هجوم ، تشبه إلى حد كبير ماحدث فى العلمين ، ففى هدأة الفجر تطلق المدافع كأفواه القرب وتنطلق القذائف فتضىء الصحراء بنارها ، ويستمر الرعد والبرق زمناً ثم تبدأ المشاة والدبابات زحفها . . أما فى الناحية الأخرى فإن المدافع ترد على النيران بمثلها بينما تأخذ المشاة والدبابات فى الانسحاب وعند ما تبطل المدافع يكون الجلاء قد تم عن الموقع

وفى اليوم الرابع من بدء الزحف حصل الجيش الثامن على نتائج مرضية ، فكان يزحف بمعدل ميل فى الساعة ولو أن الأعمال الحربية لم تكن هينة بسبب الألغام، ووعورة الأرض التى كانت تتزايد كلما تقدم المسير . وكانت مقاومات المحور ضعيفة لا تذكر ، واستمرت حركة ارتداده على طول الساحل وفى الطرق المجاورة نحو الجهة الشمالية الغربية بينما كان الجيش الثامن يطوى الأميال ويسرع للّحاق بغريمه

وانتهت معركة ليبيا وأخذت دبابات الجيش الثامن ومدافعه

ومشاته تنساب صوب ولاية طرابلس وأخذت الآراء تتضارب بشأن المكان الذى يحتمل أن يقف فيه روميل ثانية ، وكان أقرب الاحتمالات إلى التصديق هو أن يسرع إلى مسراته للقيام بأعمال تعطيلية جديدة .

ولكن .. لم تدافع قوات المحور عن مسراته فاحتلها الجيش الثامن

وفى هذه الأثناء عقد مؤتمر الدار البيضاء الذى اجتمع فيه رئيس جمهورية الولايات المتحدة ورئيس وزراء بريطانيا فى يوم ١٤ ينـاير واستمر الاجتماع عشرة أيام وحضره رؤساء هيئتى أركان حرب البلدين لدرس الموقف الحربى العام ، وقد تم فيه وضع خطط الهجوم المشتركة لسنة ١٩٤٣ . وكان أهم القرارات التى اتخذت أن يبدأ هجوم الحلفاء على أوربا فى ذلك العام ، كما تم الاتفاق على تنسيق العمليات الجديدة ، وتوضيح سياسة الحلفاء الحربية وهى : الحرب إلى أن يسلم العدو بلا قيد ولا شرط

وتم الاتفاق على أنه متى حدث انتقال جيش الصحراء إلى تونس يصبح الجنرال الكسندر نائباً للقائد العام — الجنرال إيزنهاور — ويصبح الإرتشيف مارشال أرثرتيدر قائدا عاما للطيران فى البحر المتوسط على أن يكون مسؤولا أمام الجنرال إيزنهاور عن جميع الأعمال الجوية الحربية فى منطقته ، وأعطى فوق ذلك مهمة الإشراف على جميع القوات الجوية فى جميع أنحاء الشرق الأوسط ، كما يتولى



الكسندر

قائد القوات البريطانية



تيدر

قائد القوات الجوية



كننجهام

قائد القوات البحرية

القـادة البريطانيون فى شمال أفريقيـا

الارفيس مارشال كوننجهام — الذى يعمل مع الجيش الثامن — تنسيق الأعمال الحربية الجوية لتأييدالجيشين الثامن والأول وجميع القوات الجوية فى ميدان تونس . ويعطى الأميرال سيراندرو كاننجهام قيادة جميع القوات البريطانية والأمريكية البحرية فى تونس ، وتشمل مهمته جميع الأعمال البحرية فى البحر المتوسط

وفى الثالث والعشرين من يناير ١٩٤٣ دخل الجيش الثامن مدينة طرابلس فسقطت العاصمة الأخيرة فى مستعمرات « الامبراطورية الإيطالية » .

وكان الزحف على طرابلس ذا ثلاث شعب ، طابوران مصفحان من الجنوب عبر الصحراء ، وقوات المشاة من طريق الساحل ، وأطبقت هذه القوات على المدينة من الشرق والجنوب بينما كان التقدم شاقا لأن الألمان دمروا خلفهم كل قناة وجسر ونسفوا وجه الطريق ودمروا كل شىء له قيمة عسكرية ، وقاتلوا قتال المؤخرة بدهاء

وتراجعت قوات روميل صوب تونس بسرعة مخافة أن تشتبك فى قتال يضعفها وحذراً من أن يُقطع عليها الطريق . كما أنها كانت جادّة فى تنفيذ خطتها الخاصة بدخول تونس والاشتراك فوراً فى القتال الكبير الذى كان على وشك الابتداء ، ولذلك قام الألمان فى تونس بالهجوم على جسر الحفص للضغط على جيوش الحلفاء وتحويلها عن المنطقة الجنوبية لكى تكفل لروميل وقتا إضافياً للانسحاب بسلام

ودخلت قوات المحور تونس . .

وتم للجيش الثامن فى ثلاثة أشهر من معركة العلمين تدمير الجزء الأكبر من القوات المدرعة ومحق خمس فرق إيطالية من ست ، وتعقب العدو المقهور ١٤٠٠ ميل فى ثمانين يوماً ، والقضاء قضاء حاسماً على ما كان يدعى « الإمبراطورية الإيطالية »

فهذا العمل الكبير كان من الفعال العسكرية الباهرة ذات النتائج الحاسمة . وسيسجل التاريخ للجيش الثامن أنه دفع بعدو كبير إلى هاوية هزيمة مروعة ، ولاحقه فى صحراء وعرة قاحلة ملاحقة لا سابق لها ، وأنه جرد إيطاليا من آخر بقعة تحت نفوذها ، وقضى على آخر جندى مسلح للمحور فى أفريقيا

فى أوقات الفراغ

يحلو للبعض أن يستطلع أحوال الجنود فى الميدان ليتعرف إلى أساليب عيشهم وألوان حياتهم حين يحتدم القتال و ينتشر الموت فوق الرءوس ، ترى كيف هم فى حلهم وترحالهم ؟ وهل يجدون أوقات فراغ ولحظات راحة و يحظون بفرص للعيش والتفكير كما يعيش الخلق و يفكرون . . ؟ أم أنهم يقاتلون دائماً وقد تملكتهم روح الحقد والشر ، فلا حديث إلا لأسلحتهم ولا تفكير فى غير عدوهم ، وما لهم من حركة أو سكنة إلا لدفع هذا العدو وتفادى ضرباته . . ! ؟

فى مثل هذا يفكر الكثيرون وخصوصاً عند اشتداد المعارك واحتدام القتال بهذه الصور الحديثة الرهيبة ، وهم يقرأون عن القتال وأساليبه ونظمه ولكنهم قلما يقرأون عن حياة الجنود الخاصة واستخلاصهم اللحظات الهانئة من بين الأيام المضنية ، وانتزاعهم فرص المرح من جو الكآبة المنتشر ، وخلقهم الحياة فى مكان يسيطر عليه الموت

وحرب كهذه التى احتدمت فى الصحراء كانت شراً مضاعفاً و بلاء مزدوجاً فقاست الجنود عناء القتال مع جنود شديدى البأس

مصقولى الأسلحة ، ولاقت الويلات من الطبيعة القاسية ، فهل كانت حياتهم كلها سوءاً وشراً مجدبة ليس فيها من معانى الحياة شىء . ؟

أما عن الصحراء وحدها فهى تجمع المتناقضات ، وقد جرى وصفها فى كتب مختلفة اللغات ، وأقربها إلى أذهاننا ذلك الوصف السهل الممتنع الذى ورد فى كتاب « فى صحراء ليبيا » لأحمد حسنين باشا وقد جاء فيه :

« قد يكون للصحراء متاعبها ولها أيضاً ملاذها ، وهى التى تستهوى عشاقها وتجذبهم إليها ، افتتن بها كل من جاب فيافيها ، افتتن بعظمتها المثلة فى فضائها الواسع وسكونها العميق وحيـاة التنقل المحفوفة بالمخاطر . .

تبسم فما أحلى ابتسامتهـا وتعبس فما أقسى عبوسها ، تضحك نجومها فتستهوى عابر سبيلها ، ويحتكم فضاؤها فى القلب فتوقعه فى أسرها فيسير مغتبط النفس هانيها سير المؤتنس بها المولع بجمالها . . ولكنها كالغانيات شيمتها الغدر فلقد تريك بعد تمام الرضا غاية الغضب ونهاية القساوة . . »

وقد أحس جنود الصحراء بهذا كله ، وسجلته مذكراتهم ويوميات المراسلين الحربيين ، فكانوا إذا ما تم الاستيلاء على منطقة أو بلدة راعهم مكانها وملكت أفئدتهم روعة الطبيعة فيها فقرأنا أوصافاً ممتعة بين أحاديث الحرب وويلات القتال

ويطول المقام عند سرد قصص الجنود ونوادرهم فى اوقات الفراغ.
ولا شك أن هناك أحاديث خاصة وشخصيات معينة تكون غالباً محور التفكه ومدار التسلية، فيسأل أحدهم : ما هو وزن موسوليني؟ فيرد الآخر على الفور : بالمدفع أو بدونه ! ؟.. ويستفهم الآخر: من هم « الأعداء » الذين نحاربهم؟ فيسمع فى التو « هتلر بصفة عامة لأنه أتى بنا إلى هنا، وروميل بصفة خاصة لأنه سيتعبنا ووراءه عدة أميال » . وتدور الفكاهات « المحلية » ولا يمكن أن تخلو منها فعال الإيطاليين ولباقتهم فى « عملية التسليم » ونظافة أسلحتهم ! ؟

ويقيم الجنود فى حفر صغيرة Dug Outs لا تتسع الواحدة لأكثر من سرير ميدان (سفرى) وسقفها من الخيش المدعم بعروق الخشب وهم يطلقون عليها تندرا « غرفة التدخين » لأن أحداً لا يستطيع أن يدخن فى الخلاء وخصوصاً فى الليل خوفاً من طائرات العدو

ولا يستطيع الجنود أن يجلسوا فى جماعات صغيرة ، لأنها تجعلهم أهدافاً واضحة للطائرات المغيرة ولذلك تتوزع الجماعات الصغيرة ، وغالباً فى مخابىء، وهذا الوضع لا يخلو من فائدة فإن هذه «الشلل» لا تتغير غالبا إلا إذا فقدت قتيلا أو جريحاً ويكون لهذا الحادث ماله من تقوية الروابط بين الباقين وازدياد الروح الانتقامية فى نفوسهم

ومن الطريف ما ذكره دنهولم يونج فى كتابه «رجال العلمين» من أن الجنود — فى هذه الحرب المجهدة والجو الخانق وعواصف الغبار —

كانوا يجدون أسعد لحظاتهم فى التجرد من ملابسهم والنزول إلى الماء البارد فى البحر المتوسط ولم تكن هناك سعادة تفوق ذلك ، وكانوا لا يفارقون الماء إلا بصعوبة وأسى ، ويقول إن جنود الجيش الثامن هم وحدهم الذين يمكنهم إدراك هذه السعادة الدافقة التى تنسيهم ويلات الحرب ومتاعب الصحراء

وقال إن من الفترات السعيدة فى حياة هؤلاء الجنود وقت « تغيير الملابس المتسخة» ، وعند وصول شحنات من الأغذية الدسمة فيكون الغذاء من المطبخ ، وأيضاً عند ما تغرب الشمس ويهدأ جو الليل وتصفو السماء وتسطع نجومها المؤنسة

ونرى أحد الجنود يسأل صاحبه : لماذا يريد الألمان أن يأخذوا هذه الصحراء الكئيبة ؟ فيجيب : إنهم لا يريدون الصحراء لذاتها ، ولكنهم يريدون مصر وقنال السويس فلا بد من عبور الصحراء . . ونحن هنا لمنعهم ، فيسأله : ولكن أهذه هى إمبراطورية موسولينى التى يتشدق بعظمتها ؟ فيرد عليه : نعم وغداً نفقده إياها ثم نقفز يوماً ما إلى الغابات والمستنقعات الاستوائية للبحث عن اليابانيين « المساخيط»

وفى حفرة صغيرة جلس زميلان يراجعان حساب الماضى و ينظمان خطط المستقبل فيسأل أحدهما الآخر عما سيفعله بعد الحرب ، فيجيبه على الفور :

— آخذ إجازة شهراً ! !

فإذا سأله رأيه عما يفعل مع الألمـان قال : يجب أن نقضى عليهم ونريح العالم من الذين يعكرون صفوه خمس مرات فى مائة عام . . ولكن أهم من ذلك أن أعطى الاجازة وأركب عربتى الجديدة ، أمر بها فى جميع شوارع لندن ثم آخذ أدوات الجولف وعصا الصيد إلى الريف لأمضى شهراً . . شهراً كاملاً ! فإذا نهض ليعود إلى مكانه قال لصاحبه : « إلى غرفتى المنيفة التى تشرف على فضاء واسع من جميع الجهات ! »

وهناك إلى صخرة منعزلة جلس ضابطان يتذكران جولاتهما فى لندن ومكانهما المختار فى « حانة كروك » ويتمنى أحدهما كأساً ، فيذهب الآخر غير بعيد وينبش الرمال ثم يعود بزجاجة من البيرة فإذا سأله صاحبه : «من أين لك هذا ؟ » أجاب: « من أسلاب الطليان . . إنهم كرماء إلى الحد الأقصى ، أسلحة وذخيرة وأسرى ومناظر مضحكة ، وهذه أيضاً . . » ويتناوبان الشراب من الزجاجة بطريقة يضحكان لها ، ويأسف أحدهما على الأيام الماضية فيقول صاحبه « إنها لن تلبث حتى تعود يا بيتر ونشرب جالونات وجالونات من البيرة المثلجة فى « حانة كروك » وغيرها . . !

ويريان ضابط التموين « الكوارتر ماستر » ماراً بطريقته التقليدية فلا ينسى أحدهما أن يرميه بفكاهة فيقول : « إنك لا بد عائد بعد الحرب لمسح الصحراء وحصر المهمات ولعمليات التسليم والتسلم »

و يسأ لانه عن أ كلات عيد الميلاد وهل الدندى (الديك الرومى) سيكون سميناً أو إنه مثلنا متعب من الحرب و يأ كل ببطاقات . . إنى آ كل البولى بيف والبسكويت والمربى منذ قرون ! فهل آ كل مرة من المطبخ ؟ »

و يقول الضابط لزميله — وهو أحدث منه فى مدة الخدمة — إن ما يتمناه هو أن يخدم الاثنان معاً فى وحدة واحدة بعد الحرب ، فيصيح الآخر : ولكن كيف ستعاملنى .. هل ستبقى « نفخة الأقدمية » فارقاً بيننا ؟ فيجيبه صاحبه « يا صديق ، بعد أن رأينا ما رأينا . . ما ذا تكون الأقدمية هذه ! ؟ » و يأخذان فى الضحك إلى ما شاء الله

وهذا قليل من كثير من الحياة العابثة والوقائع الفكهة التى تنتزع انتزاعاً من جو رهيب ، وهى على طرافتها لا تخلو من التعبير عن الاستهانة بالصعوبات والإصرار على ضرورة الاستمرار وشدة التعلق بكسب الحرب

ومن القصص التى لا تخلو من الحكمة أن قائداً سأل أركان حربه عن خسائر اليوم بالكتيبة فقال « ١٥ قتيلا و ٣٠ جريحاً إنها كارثة » ، فيعقب القائد المجرب فى هدوء : « كلا إنها لا توازى نصف الخسائر فى جولة مشابهة من جولات الحرب الماضية ، إن جنودنا يفهمون جيداً طرق الاختفاء والوقاية و يقاتلون بشجاعة و إلا لكانت خسائرنا مضاعفة . ولا تنس أن تسجل أعمال البطولة التى تقع من الأفراد

على اختلاف رتبهم، لأن الذاكرة ضعيفة القدرة فى وسط المعامع، وعليك أن تكتب ذلك فى الورق حتى لا تنسى بطولات الأمس ويهمل أصحاب النصر الحقيقيون . . »

ويذكره أركان حربه بمؤتمر الغد الذى سيعقد فى رئاسة اللواء ويخبره أن إشارة تليفونية وصلت من رئاسة اللواء بأن تتحرك الكتيبة عند صدور الأمر مباشرة . فيسأله : هل علم بها قواد السرايا ؟ فيقول : نعم، حال وصولها . . ومن أمثال هذه الأحاديث البسيطة نستطيع أن ندرك أهمية إتقان الأعمال العادية مهما كانت بسيطة ، وعدم الإهمال وضرورة تدريب النفس على الجد والاحتفاظ بمستوى عال من الضبط والربط وحب إطاعة الأوامر ، وشعور التقدير والتعاطف بين الزملاء ، زملاء الشدائد والأهوال ، الذين تربطهم أقوى رابطة وتجمعهم أشرف مهنة . . إن شعار « نحن نفدى بعضنا » الذى هو لسان الحال فى الميدان يجب أن يكون شعار الضباط والجنود فى أوقات السلم أيضاً

أجل عليهم ألا ينسوا ، وأن يكونوا بأخلاق الجنود دائماً

وفى ثنايا السطور التى تكتب عن الحرب نستطيع أن نظفر بدراسات طلية للضباط والجنود ونفسياتهم ، ونستطيع أن ندرك أن البطولة والجد والشرف ليست من نسج الخيال أو من أبواب التمثيل ، وإنما هى حقائق فى القلوب العامرة المخلصة ، وهى حقائق المهنة الكبيرة .

وقد وصف أحد الكتاب ضابطاً أركان حرب أعجب به لأنه « رجل عمل ، قليلا ما يجلس للراحة ، وهو يفكر دائماً فى زملائه وفى الجنود محب لرؤسائه كل الحب مشفق عليهم كل الإشفاق ، مخلص لزملائه عطوف على من هم تحت قيادته ، يستغنى عن تكليفهم بعمل إذا استطاع هو أن يفعله ، وفى أشد أدوار المعركة لا يفارق مكانه مهما كان الخطر . . » ويصف آخر « ببسالة منقطعة النظير ، وقد عرفت أنه صرع بقبضته فى حلقات الملاكمة عدداً يقابل ما يصرعه من الألمان والطليان . ! » ويقول عن ثالث إنه أصيب فى الحرب بنوبات صرع تعاوده من وقت لآخر ، ولكنه يخشى أن يبلغ الأطباء ذلك حتى لا يبعدوه عن الميدان ويعيدوه كمدنى لا خير فيه « فقد عاش ليكون جندياً ويؤسفه ألا تعطى له الفرصة الخليقة بالرجال . . »

والذين يحسدون القادة على رتبهم ونياشينهم لا بد أن يعرفوا مسئولياتهم وتبعاتهم الجسيمة ، فإن قليلين فقط يصلحون لأن يكونوا قادة ، ولو عرفت حقيقة أعمالهم ، فإن قليلين أيضاً يحبون أن يكونوا قادة . . .

وهكذا نرى الحرب على ما فيها من محن وخطوب لا تخلو بعض نواحيها من المعانى الكريمة ، ومنها تقويم النفوس وتكوين رجولة صحيحة تصقلها النوائب والأحداث

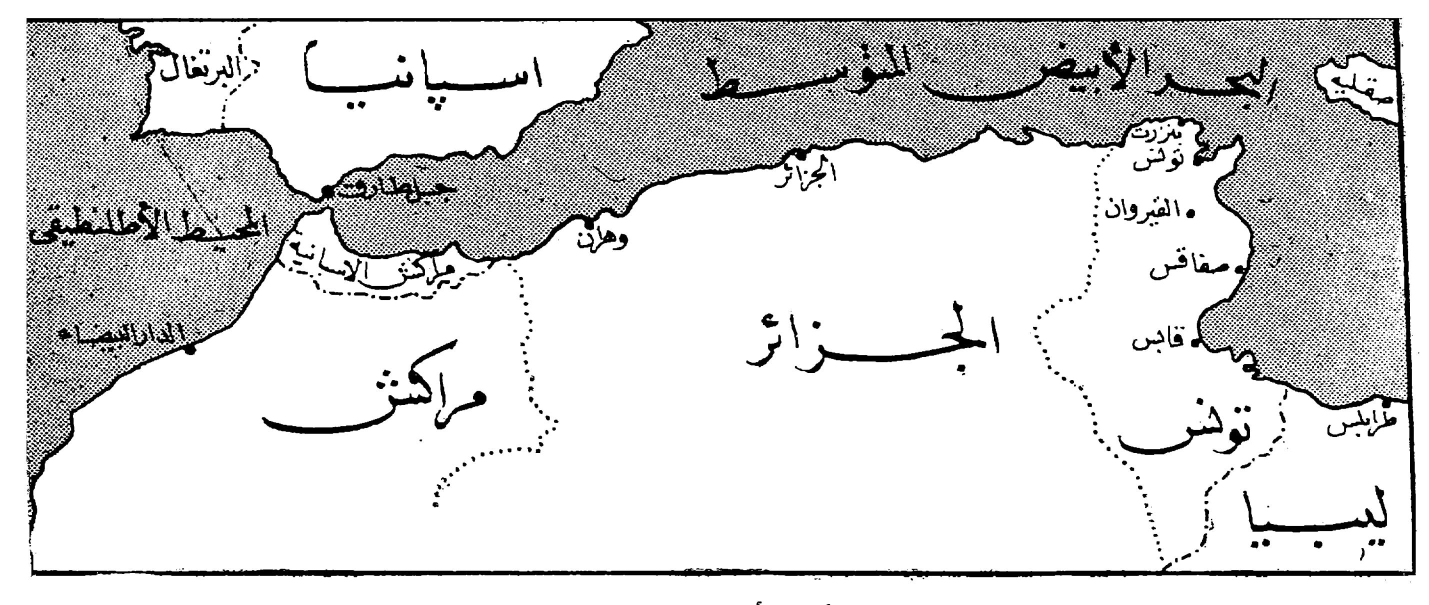
أفريقيا الشمالية الفرنسية

تتألف أفريقيا الشمالية الفرنسـية من بلاد المغرب والجزائر وتونس بترتيب وقوعها على ساحل أفريقيا الشمالى ، وهى جميعاً تحت سيطرة فرنسا وإن كان النظام السياسى يختلف فى الواحدة عن الأخرى .

وتعد هذه البلاد أهم مستعمرات فرنسا فهى أقربها إليها ، وتعتمد عليها اعتماداً كبيراً فى التجنيد ويقيم فيها ربع الجيش العامل تقريباً ، وتعطيها مركزاً ممتازاً فى البحر المتوسط ، ولذلك يرى فريق من الرأى العام الفرنسى أن من تبذير الجهد أن تعنى فرنسا بسوريا ولبنان ، ويرى أصحاب هذا الرأى أن موضع العناية يجب أن يكون غربى البحر المتوسط حيث تتواجد مصالح فرنسا الحقيقية

وتنتج شمال إفريقيا معادن ومواد غذائية تجعلها مصدراً هاماً لدولاب الحرب وقاعدة ممتازة للتوريد والتموين .

وتعد مراكش آخر دويلات الساحل الأفريقى من ناحية الغرب ، وقد تمت السيطرة لفرنسا عليها عام ١٩٠٤ بعد أن ظلت ميدان سباق استعمارى كبير بين فرنسا وانجلترا وألمانيا ، وفى عام ١٩١١ احتلت



شمال أفريقيا الفرنسية

فرنسا مراكش وأقامت عليها حاكما فرنسيا مع بقاء السلطان المغربى .

وتبلغ مساحة مراكش ١٣ ألف ميل م وسكانها أربعة ملايين ونصف مليون وعاصمتها رباط التى يقدر سكانها بـ ٨٣ ألفاً ، ومن المدن الهامة الدار البيضاء وفاس وصافى .

أما الجزائر فتعد قسما إدارياً من أقسام فرنسا ، وهى تشمل مقاطعات مدينة الجزائر ووهران وقسطنطينية ، أما جنوبها فصحراء شاسعة . ويتولى الحكم حاكم فرنسى مطلق التصرف يعاونه مجلس استشارى . ويمثل الجزائر فى البرلمان الفرنسى ثلاثة شيوخ وعشرة نواب ، وأهلها يجندون كالفرنسيين سواء بسواء .

ويبلغ تعداد سكان الجزائر سبعة ملايين منهم مليون فرنسى ، وعاصمتها مدينة الجزائر ، وعدد سكانها ٣٦٠ ألفاً وأهم المدن بونا وفيليبفيل .

أما تونس وهى بيت القصيد فى حديثنا — فهى ولاية تحت الحماية الفرنسية ، وقد كانت مثار نزاع استعمارى قديم بين إيطاليا وفرنسا ، وقد شجعت بريطانيا وألمانيا التدخل الفرنسى فى تونس الذى توطد حين أرسلت فرنسا حملة لغزوها ووقعت بينها معاهدة باردو عام ١٨٨١ فأصبح لفرنسا بمقتضاها حق الإشراف على الشئون العسكرية والمالية ، وعين وزير فرنسى مقيم هو الصلة بين الباى وحكومته ، وقد حدثت عدة اضطرابات فى بلدان مختلفة اقتضت قيام فرنسا بعمل حاسم فقضت

على الثورات وأعلنت الحماية بمقتضى ميثاق المرسى (٨ يونيو ١٨٨٣) وبذلك بدأت تونس عهداً جديداً .

وقد أنهى هذا الاحتلال ما كان بين تونس وتركيا ، فقد دخلت تونس تحت ظل الحكم العثمانى فى القرن العاشر الهجرى ، ثم أصبحت «السلطنة التونسية» وراثة فى البيت الحسينى (نسبة إلى الكتخدا حسين ابن على) وبقى أمراؤها موالين للسلطان ، ثم وفد الأجانب وتعددت الجاليات الأوربية وظهرت الامتيازات ، وبدأ التنافس بين الدول على تملك تونس حينما بدأ الضعف يدب فى الدولة العثمانية ، فكانت من نصيب فرنسا واعترفت الدول بحمايتها لها . وكان آخرها موافقة إيطاليا (سنة ١٩١٩) وتركيا (١٩٢٠)

وفى ظل العهد الجديد بدأت تونس تدرج فى الرقى والأخذ بالأساليب المدنية فاستقرت أمورها المالية ووضعت لها ميزانية وأنشئت محاكم فرنسية ألغت المحاكم القنصلية ، وبدأ العمل فى استغلال الموارد الطبيعية والنهوض بالمرافق العامة والنواحى الاجتماعية والثقافية وتدعيم الإدارة وإنعاش الأحوال الاقتصادية .

وقد تركت مظاهر الحكم القديم على حالها فيتولى شئون السلطة الباى بوصفه صاحب ولاية تونس ، بينما يمثل الدولة الحامية مقيم عام فرنسى يوقع إلى جانب الباى المراسيم والأوامر ويتولى رياسة قوات البر والبحر .

الكبير وأغلبية فى المجالس الاقليمية ، ويتولى الأهالى ٣ وزارات و١٨ كرسياً فى المجلس

وكانت سياسة فرنسا فى حكم تونس متجهة إلى التعاون مع الأهالى واشتراكهم فى المجالس و إنهاض مرافقهم وعدم تقييد حرياتهم .

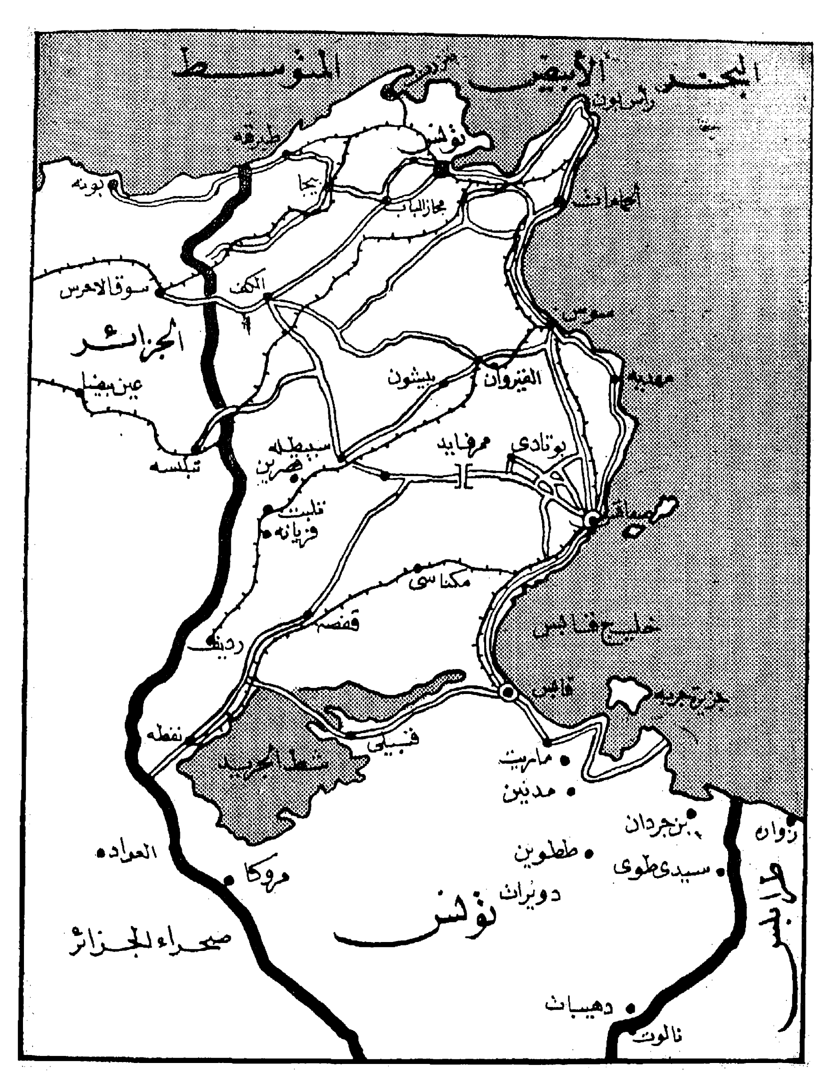
وتقع تونس بين خطى طول ٨° ، ١١° شرقاً وتبلغ مساحتها ٤٥ الف ميل مربع وهى تحد غرباً بالجزائر وفى الجنوب الشرقى بطرابلس وجنوباً بالصحراء ، وتقع سواحلها الشمالية والشرقية على البحر المتوسط .

وبها سلسلة جبال ممتدة من الجزائر وجبال من الطباشير والحجر الرملى — فى الشمال الغربى — يغطيها البلاط والحسك ، ويمر نهر مجردة فى تونس من الغرب إلى الشرق و يصب فى خليج تونس ، وتكتنف واديه عدة تلال منها قبر سعد ومدورة .

أما فى الجنوب فتضاريس تونس تشبه الصحراء ، قليلة الأمطار ، وتوجد بها شطوط الجريد ونفراوه

وتونس زراعية وأهم محصولاتها الكروم والنخيل والزيتون والحبوب والخضر وبها الحديد والرصاص والفوسفات ، وأهم الصناعات صناعتا الزيت والصابون ثم الصباغة والنسيج والخزف والطرابيش والمناخل والحصر ودبغ الجلود وصنع الأحذية .

ويبلغ سكان تونس ٢ مليون و١٥٩ ألفاً منهم مليون و١٨٤و٩٣٢


البحر الأبيض المتوسط
تونس
الجزائر
سوق الاهرس
الكف
مجاز الباب
الحمامات
سوسة
المهدية
القيروان
صفاقس
قفصة
قابس
خليج قابس
جزيرة جربة
نفطة
شط الجريد
مكناسي
تبلسه
عين بيضا
سبيطلة
مدنين
تطاوين
صحراء الجزائر

تونس

مسلماً ويقدر عدد الأجانب بـ ١٧٣و٢٨١ والعاصمة هى مدينة تونس وهى من أهم مدن الساحل الأفريقى وأقربهـا إلى أوربا وهى نقطة استراتيجية هامة وقاعدة حربية وجوية وسكانها ٢٢ ألفاً .

وأهم بلاد تونس بعد العاصمة بنزرت (Bezerte) وهى تقع على ساحل البحر الأبيض (٤٠ ميلاً غربى تونس) وسكانها ٣٥ ألف نسمة، وهى تسيطر على مضيق صقلية وتعد من أهم قواعد البحر الأبيض وهى تؤلف مع اجاكسيو (فى كورسكا) وطولون (فى جنوب فرنسا) مثلثاً عظيم الشأن من الوجهة الحربية

وقد بعثت بنزرت فى عهد الحماية الفرنسية ووجدت العناية الجديرة بها فعمرت وحفلت بالمبانى والإصلاحات وازداد سكانها ونشطت تجارتها

وتقع مدينة القيروان جنوبى تونس بمسافة ١٢٠ ميلاً وغربى سوسة بمسافة ٤٠ ميلاً ، وبينهما خط حديدى، وهى على ارتفاع ٢٥٠ قدم من سطح البحر وتقع فى قلب واد كبير تجرى فيه الأنهار ، ويبلغ عدد سكانها ٢٢ ألفاً

أما المهدية فتقع بين سوسة وصفاقص على ساحل تونس الشرقى ، وهى تنسب إلى المهدى الشيعى الذى أنشأها واتخذها قاعدة الحكم ، وكانت تعرف قبل ذلك بمدينة أفريقيا ، ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف وأهم أعمالهم صيد السمك وإنتاج الزيت .

يطلق على ولاية تونس بالفرنسية Tunisie والعاصمة Tunis كذلك يطلق على ولاية الجزائر Algerie والعاصمة Alger

وتقع صفاقص على الشاطىء الشرقى جنوب خليج قابس، وهى مركز اقتصادى هام وميناء لتصدير الزيتون والأسماك والإسفنج و يبلغ تعداد أهلها ٧٥ ألفاً

وتقع قابس على مسافة ٨٠ ميلاً جنوبى صفاقس و٢٥٠ ميلا جنوبى مدينة تونس وهى على الشاطىء الغربى لخليج قابس وتعد مركز الإدارة المدنية ومقر القيادة العسكرية للمنطقة الجنوبية .

ولعل فى هذه العجالة ما يفيد القارىء عند مطالعته لأسماء هذه البلاد فى خلال ذكر حوادث الحرب ، فقد شهدت حركات عسكرية شتى ، وخاضت طرقها جنود متنوعة ثم تلاقت فيها النيران والحراب واقتتلت الجيوش اقتتالاً عنيفاً هز شعور العالم وحبس آماله فى تونس حيناً من الدهر حتى انتهت هذه المرحلة التي تعد من فواصل هذه الحرب الكبرى

الحرب فى تونس

كان السؤال الذى يتردد على الأذهان عند ما نجحت أعمال الحملة الأمريكية الإنجليزية من ناحية ، وكللت أعمال الجيش الثامن بتوفيق عظيم من الناحية الأخرى ، هو أيهما ينتهى من مهمته قبل الآخر ؟ فهل تتمكن الحملة الغربية من القضاء على مقاومة المحور فى تونس فتتقدم لدهم قوات روميل المنسحبة من الصحراء . . ؟ أم يصل الجيش الثامن أولا فيدخل تونس ؟ وهناك تنظم جميع القوات المتحالفة وتأخذ فى قتال موحد ضد جميع قوات المحور . .

وكانت الحوادث تميل تارة مع هذا الرأى وتارة مع ذاك حتى وضح أن نجاح الألمان فى توطيد أقدامهم فى تونس يرجح الكفة الثانية وفيها الرأى القائل إن المعارك الأخيرة ستكون فى تونس

وإلى جانب هذا السؤال كان يتردد أيضاً سؤال آخر وهو هل يقاوم روميل فى العقيلة — كما حدث ذات مرة — أم يدافع فى طرابلس ؟ أم يستمر فى تقهقره حتى يدخل تونس فينضم إلى قوات المحور وهناك تتحد الجهود وتتوحد الخطط..؟

. . ولكن كانت الحوادث تتطور بسرعة وترجح الأمر الأخير فقد أخذ الجيش الثامن يزحف دون أن يفتر أى وجه من وجوه نشاطه ويدفع بقوات روميل دفعاً إلى الوراء دون أن يعطيها فرصة للثبات والدفاع ، كما كان روميل معتزما دخول تونس فاكتفى بالأعمال التعطيلية وظل محافظاً على قواته حتى تدخل الميدان الجديد بنشاط وكفاية

ولهذا لم ينتـه شهر يناير ١٩٤١ حتى كانت جميع القوات قد اتخذت تونس ميدانها ، والتفت الأنظار إلى ذلك الركن الاستراتيجى الممتاز فى وسط البحر المتوسط لترى نتيجة من النتـائج الحاسمة فى الحرب . .

وقد أراد الحلفاء من تونس أن تقع فى أيديهم قبـل أن تحتلها قوات المحور فتضيع عليها بذلك فرصة السيادة على هذا الموقع المتوسط ، فاذا ما وقعت الواقعة وتم احتلال الساحل الأفريقى اتجهت الخطط إلى غزو أوربا

وأراد الألمان من تونس أن يسبقوا الحلفاء إليها فيثبتوا أقدامهم ويدافعوا عنهـا بقوة ، ثم ينقلب دفاعهم هجوما ، بينما تطمئن قوات روميل — المتراجعة — إلى مصيرها ، ثم تتخذ قوات المحور صقلية — طرابلس — تونس — مثلثاً لعملياتهم فى البحر المتوسط يقف حائلا بين شرق البحر وغربه ، ويكون لهذا النضال ما وراءه من تعطيل

خطط الحلفاء وتدمير قواتهم ، وكسب معركة البحر المتوسط ، ودفع خطر الغزو عن ساحل أوربا الجنوبى وحمايته من الغارات الجوية

وقد كسبت ألمانيا الشوط الأول بوصول قوات كبيرة قوية العتاد إلى منطقتى تونس و بنزرت قبل أن تصل القوات المتحالفة ، فاستولت على المطارات وخطوط المواصلات واستعدت قبل أن تجتاز حملة أفريقيا الحدود التونسية

وكان الألمان أسبق إلى احتلال النقط الحصينة فأعدوا محلات دفاعهم بعناية ، واستعدوا للمقاومة فشقوا الجسور والكبارى والطرق والسكك الحديدية بغية تأخير تقدم قوات الحلفاء ، وقد قدرت القوات الألمانية بادىء ذى بدء بعشرة آلاف جندى ولكن الإمداد كان يصل باستمرار ، وتوالت على تونس الأسلحة المدرعة وقاذفات القنابل المنقضة والدبابات (مارك ٤) ونقل عدد كبير من الجنود الفنيين الألمان من طرابلس بطريق الجو ونقلت قوات أخرى من كريت واليونان وإيطاليا

وقد قدّر عدد القوات البريطانية والأمريكية والفرنسية التى اخترقت حدود تونس من الجزائر بنحو ٣٠٠ الف تسبقهم قوة كبيرة من جنود المظلات ، واشترك فى هذا الزحف ٣٠ الف جندى فرنسى بقيادة الجنرال چيرو

وزحف الجيش الأول البريطانى فى اتجاه تونس و بنزرت

وتقدمت القوات الأمريكية بفكرة دق اسفين بين قوات نهر ينج وروميل حتى لا تتاح لهما فرصة توحيد الجهود ، وقد وقعت المصادمات الأولى على مسافة ٣٠ ميلا جنوب شرق تونس بين القوات الألمانية الميكانيكية وطلائع الحلفاء ثم أصبح الميدان ثلاث ساحات : شمالية ووسطى وجنوبية . .

واستمر تقدم الحلفاء على الرغم من المقاومات الشديدة التى بذلها الألمان ورغم الغارات العنيفة التى شنتها طائرات المحور ، وقد كانت الحرب الجوية على أشدها فى ساحات القتال وفى الإغارات المتعددة على مراكز التموين والموانىء ونقط المواصلات

وقد وقع فى تلك الأثناء حادث فى فرنسا له ارتباط بعمليات البحر المتوسط فقد فقدت فرنسا أسطولها الكبير يوم ٢٨ نوفمبر عند ما احتل الألمان طولون فأصدر الأميرال دلابورد أمره إلى جميع الوحدات أن تغرق سفنها ... أما ما دعا إلى هذا الإجراء فيبدأ من وقت نزول القوات الأمريكية والبريطانية فى أفريقيا الشمالية الفرنسية الذى كان رد الألمان عليه احتلال بقيــة فرنسا ، ولكن طولون تركت لحماية الأسطول الفرنسى . . ، وتقول المصادر الألمـانية إنه « قد لوحظت محاولات كبار الضباط الفرنسيين الانضمام إلى الحلفاء ، ورغبة فى عدم تعريض سلامة قوات الاحتلال للخطر صدر الأمر باحتلال طولون . . » وقد غرق قسم من الأسطول بيد بحارته وأبحر قسم منه فانضم إلى الحلفاء

ونعود إلى ساحة القتال فى الأيام الأخيرة من نوفمبر فنجد القوات فى الناحيتين تستعد لخوض المعارك الكبيرة التى ستقرر المصير فى أفريقيا. وقد شرع الألمان فى العمل التعرضى فقاموا بكرات متعددة لجس النبض واختبار الأوضاع ، ثم أخذت هـذه الهجمات فى الاشتداد لإيقاف القوات المتحالفة وردّها عن المراكز التى وصلت اليها والتى كانت تشبه حلقة مضروبة حول منطقتى تونس و بنزرت .. وكان الألمان يملكون تفوقاً جوياً محلياً و يمتازون بمراكز جبلية محصنة ضد هجمات القوات البرية ولذلك قويت شوكة المقاومة وتعطل الزحف أمام مناعة الخطوط ووعورة الطرق واشتداد الكرّات المضادة وازدياد أعمال التدمير ... وقد ساعدت طبيعة الأرض فى تونس على ذلك فهى تتألف من الجبال والصحراوات ، ومعظم المنطقة الواقعة غربى الجزائر تمتد صوب صحراء لا أثر للطرق أو المياه فيهـا ، أو جبال وعرة تنتهى بتلال مطاطة التى يتألف منها الجناح الغربى للمراكز الدفاعية الفرنسية فى جنوب تونس

وفى شهر ديسمبر كان التقدم قد أوقف واشتدت الكرّات من الجانبين وخصوصاً فى منطقة طابوربه حيث كان الجنرال أندرسون قائد الجيش الأول يتولى دفة الأعمال الحربية ... كما حدث اشتباك بين الدبابات قرب ماطور (٣٠ ميلا من بنزرت) واشتباك آخر عند مجاز الباب فنجح الحلفاء فى توطيد أقدامهم ... وحدثت هجمات شديدة قامت بها الدبابات الألمـانية مع المشاة بتأييد طائرات ستوكا والطائرات المقاتلة ،

وذلك على مدينة طابوربه حيث احتدم القتال وأصيب الطرفان بأضرار شديدة دون أن يؤثر ذلك فى مراكزهم التى كانت قد استقرت

ويمكن القول بأن شهر ديسمبر كان شهر النشاط الجوى من الطرفين، وقد وضحت أهمية العامل الجوى فى المعركة بأبرز صورها فى تونس ، فكان من أسباب تأخير الحلفاء قلة المطارات الصالحة فى أيديهم بينما كان للمحور مطارات صقلية وسردينيا وبانتلاريا ، فضلا عن مطارات تونس نفسها ...

وقد ذكر مستر هنرى ستيمسون وزير الحربية الأمريكية « أنه حينما نحصل على التفوق الجوى ستكون أمامنا ثلاثة أهداف : (١) طرد أو تدمير قوات المحور فى تونس (٢) مهاجمة طرابلس وتحطيم قوات روميل (٣) التعاون مع البريطانيين لجعل ساحل شمال أفريقيا والبحر المتوسط خطوطاً آمنة . . . »

وكانت الأعمال المنتظرة الوقوع تتطلب استعدادات فائقة وترتيبات ضخمة من الطرفين المقدمين على صراع يقرر المصير، وكانت قوات الحلفاء قد بلغت منتصف الساحل الشمالى بعد شهر من نزولها فى أفريقيا ، وهى مسافة تقرب من ٩٠٠ ميل واقتربت من المواقع الدفاعية الرئيسية التى يحتلها جنود مدربون فكان لا بد من استعداد حاسم

ولم يخمد نشاط الألمان ولم تنقطع إغاراتهم البرية والجوية ، وكان

أقواها زحف قوة كبيرة إلى طابوربه حيث كان الجيش الأول يرابط فى شبه دائرة من المراكز القائمة فوق التلال المرتفعة الواقعة غربى المدينة ، وقد قوبل هذا الزحف بستار ثقيل من نيران مدفعية الحلفاء ، وأبدى الألمان صلابة فى القتال واستخدمت وحداتهم الميكانيكية بتهور محاولة كسر النطاق الذى ضربه الحلفاء حول الركن الشمالى من تونس

وإزاء هذا الضغط الشديد ارتد الجيش الأول عن مواقعه وشددت طائرات ستوكا والدبابات وقع الأزمة فى صفوف الحلفاء فاستطاع الألمان احتلال المدينة ، ولكنه احتلال لم يلبث أياماً حتى اشتدت على أثره مقاومة الحلفاء فتمكنوا من إيقاف الأعمال التعرضية بصفة نهائية ، ثم هجمت قوات المشاة الأمريكية على المراكز الألمانية فارتد الألمان عن بعض الأراضى

وحدث قتال كبير فى المنطقة الجنوبية جنوبى شرق تبيسة حيث كان الزحف الأمريكى قد قوبل بمقاومة الألمان ، وقد ثبّت الأمريكيون أقدامهم فى مراكزهم بعد أن أصيب الطرفان بخسائر متعادلة ...

واستمرت كرّات الألمان على أشدها ، ففى الشمال كانوا يعملون على طول الطريق بين جبل العبيد وماطور ، وفى الغرب يزحفون نحو منتصف الطريق بين مجاز الباب وماطور ، وكانت قواتهم جيدة الاستعداد وفيها جنود الفرق المدربة الذين حاربوا فى بولندا وفرنسا وروسيا وتدربوا تدريباً عالياً فى أشد المعارك وعملوا تحت قيادات قديرة .. وقد

قدرت قوات المحور فى تونس بثمانية وعشرين ألفاً منهم ٢٣ ألفا من الألمان ، وقد كان للحلفاء التفوق العددى ولكنهم كانوا يعانون مشكلة عدم وجود المطارات وقلة الطائرات فى أول الأمر ويعانون مشكلة النقل فالطرق قليلة من الجزائر إلى ساحة القتال فى تونس .

وقد أراد الألمان اتخاذ طابوربه مركز هجومهم على مجاز الباب فرجعت قوة كبيرة من الدبابات والمشاة إلى الضفة الغربية لنهر مجردة الذى يجرى فى موازاة خط السكة الحديدية والطريقين اللذين يصلان طابوربه بمجاز الباب ، وزحف طابور آخر من الشرق فى الطريق الممتد من تونس إلى مجاز الباب . . وقد قوبلت هذه الغزوات بهجمات مضادة وكرات الدبابات ونيران المدفعية ، وفى منتصف ديسمبر أوقف تسرب جنود المحور فى هذه المنطقة واحتشدت قوات الفريقين فى ساحة طابوربه ، واتخذ الألمان خطة الدفاع فسدوا الطريق من الجبل الأبيض إلى ماطور ، وذلك فى منطقة جبلية مجهزة بأوكار الرشاشات التى كانت مخبوءة بمهارة تعز معها إصابتها ، وكانت المدافع البريطانية تلقى أطنانا من المتفجرات على مراكز الألمان . ثم بدأت فترة هدوء واستعداد .

وكانت معركة الإمداد مستمرة فالنجدات الأمريكية كانت تصل بوفرة ، كما كانت الطائرات الألمانية تحمل قوات جديدة إلى الميدان التونسى، وكان لسرعة إرسال المدد الألمانى عبر البحر المتوسط وتعزيز مراكز المحور الأمامية أثر عظيم اضطر الحلفاء إزاءه إلى قضاء

مدة طويلة فى انتظار إمدادهم من الرجال والأسلحة قبل القيام بالهجوم، وقد حصن الألمان منطقتى تونس و بنزرت تحصيناً قوياً أرادوا به الثبات فى هذا الموقع الممتاز الذى لاتخفى أهميته العسكرية فى عمليات البحر المتوسط وجنوب أوربا .

و إلى جانب ذلك كان النشاط الجوى مشبوبا فطائرات المحور كانت تهاجم الدار البيضاء و بونه والمطارات وتؤيد الأعمال البرية ، بينما كانت طائرات الحلفاء تساعد قواتهم وتغير باستمرار على طرابلس ومطارات تونس وصقلية .

لذلك لا يمكن القول بأن هدوءاً صحيحاً قد حل بميادين تونس، إذ كانت المناوشات مستمرة براً وجواً ، وكل يختبر أوضاع غريمه فيحدث الهجوم من هنا مرة ومن هنالك مرة دون أن تتأثر المراكز كثيرا

واستقرت الأوضاع وأصبح خط القتال يبدأ من نقطة قريبة من رأس سيرات فى اتجاه الجنوب الشرقى إلى مجاز الباب ثم منطقة كوبرى الفحص التى كان الفرنسيون يدافعون عنها ببسالة

وقد تلقى الفرنسيون عبء القتال العنيف والهجمات الشديدة فى أكثر من موقع كما حدث فى فندق وفى منطقة صفاقس ، وقد انتهت القيادة العامة لفيلق أفريقا الفرنسى إلى الجنرال جيرو ، و بعد مقتل الأميرال دارلان أصبح جيرو قائداً مدنياً وعسكريا عاماً لأفريقيا الشمالية الفرنسية ، وإلى جانبه (لجنة حرب) لإدارة البلاد بدلا من

المجلس الامبراطورى الذى أنشأه دارلان فى نوفمبر ١٩٤٢ ، وقد جنّد جيرو ٢٥٠ ألفاً وتعهدت أمريكا بمدّه بأحدث أنواع الأسلحة

وفى السابع من يناير حل الجنرال جورجين فون أرنيم محل الجنرال نهرينج ، والقائد الجديد يعد من خيرة قواد الألمان وأكثرهم احتراماً للتقاليد العسكرية ، وقد وصل فى الوقت الذى يجرى فيه الاستعداد للمعركة الحاسمة فى تونس، وكانت فى انتظار انتهاء فصل الأمطار (أواخر فبراير) وكانت قوات الطرفين ترابط على طول مواجهة جبلية تمتد مائتى ميل من الساحل إلى الصحراء على شكل كوع تحيط بخليج قابس ، وعند هـذا الخط قدر شبوب المعـارك الـكبيرة ووقوع الحدث الفاصل

وحفل شهر فبراير بعمليات قوية بدأت بمحاولات تقدُّمٍ بذلها الجيش الأمريكى فى اتجاه مكناسى ، وقد استولى على سند على الرغم من مقاومة الألمان وكرّاتهم ، ثم هجوم الحلفاء فى المنطقة الجنوبية فى فايد ، وقيام الألمان بهجوم فى المنطقة الوسطى ، حول جسر الفحص ، لإيقاف زحف القوات البريطانية

وفى النصف من فبراير دخل روميل تونس وأسرعت وحدات من قواته للعمل فوراً فى مقدمة هجوم عنيف فى الساحة الجنوبية اشتركت فيه الدبابات وطائرات ستوكا المنقضة فحدث قتال مروع فى سيدى أبو زيد انتهى بخسائر فادحة للقوات الأمريكية ، واحتل الألمان المدينة

بينما حدث هجوم آخر فى طريق فايد لعزل قفصة فارتدت قوات أمريكا عنها بعد أن باتت مهددة بالعزل ، واحتلها الألمان أيضاً

هذا بينما كانت قوات روميل الأخرى تدفع الجيش الثامن على الحدود التونسية الجنوبية الشرقية ، فى ظروف قاست فيها قوات مونتجمرى أشد الأهـوال بسبب رداءة الجو واشتداد العواصف واضطراب الجـو وهبوب الرياح العاتية ، وذلك فى أراض صعبة ومستنقعات ملحة ، وكانت الدروب ملأى بالألغام وغيرها من المبتكرات الجهنمية لعرقلة التقدم ، وقد نسفت الطرق وأصبح التفوق الجوى لقوات المحور التى تلقت إمداداً كبيراً من المقاتلات للدفاع عن تونس

أما عن الهجوم الجارف الذى صُوّب على قفصة وسيدى أبو زيد فقد فاجأ القوات الأمريكية وأدهشها بشدته فتراجعت مضطربة بعد ما تلقت وقع الصدمة القاسية ، وقد وقع هذا الهجوم فى فترة إعادة تنظيم القوات ووقت انسحاب القوات الفرنسية لإعادة تسليحها ،وكان مصحوباً بطائرات الإنقضاض الثقيلة التى تقوم بغارات عنيفة فى حراسة طائرات القتال ، ولذلك تلاشت مقاومات الأمريكيين وأصابتهم ضربة نكراء أودت بربع أو ثلث مجموع رجالهم وأضاعت الأسلحة والمعدات

واستولى الألمان على قفصة وسيدى أبو زيد ثم بدأت المرحلة الثانية من هجومهم فاستولوا على سبيطلة وقصرين وفريانة ، وقد كانت ضمن قوات هذا الهجوم جنود من فرق روميل المدرعة ودبابات النمر

التى وصلت من إيطاليا وصقلية ، وقد انتهت هذه العمليات بتوسيع الطريق اللازم لعمليات روميل المقبلة ، ونجحت فى رد خط الحلفاء إلى الوراء

وبذلك عرف روميل كيف يجنى الفرصة الطيبة فى ساعتها فسدّد ضربته بمهارة وحقق أغراضه بعد أن أصاب قوات الحلفاء بضربة شديدة وضيّع عليها فرصة الاستعداد والهجوم العاجل

وفى هذه الأثناء التى تدهور فيها موقف الحلفاء فى الساحة الجنوبية قام الجيش الأول ومعه فيلق فرنسا الأفريقى بهجوم فى المنطقة الشمالية لتخفيف الوطأة بينما أسرعت الدبابات البريطانية لنجدة القوات الأمريكية فأوقفت الزحف عبر ممر قصرين بعد أن شارف « تاله »

هذا فى الوقت الذى وصل فيه الجيش الثامن «مدنين» — ١٧ فبراير — ثم تابع زحفه صوب « مارث » فاحتل فم طاطاوين وهى الدعامة الجنوبية لخط مارث ، وأصبح واضحاً أن مهمة الجيش الثامن ستكون ضرب جناح المحور فى المنطقة الوسطى فتصبح بين مطرقة وسندان

وكان الجنرال فون أرنيم ملتزما خطة الدفاع فى الركن الشمالى الشرقى من تونس ، ولا يفتأ يهاجم مراكز الجيش الأول لاختبارها وشغلها عن المبادأة ، ويعمل على إعداد مراكز دفاع منيعة لا تنال

وفى الخامس والعشرين من فبراير كانت قوات المحور تعمل

للاستيلاء على شبكة الخطوط الحديدية التى تستخدمها قوات الحلفاء فبلغت قوة ألمانية تالة وتقدمت قوة أخرى حتى أصبحت على بعد ١٥ ميلاً من تبيسة ، ودارت معارك عنيفة فى تلك الأنحاء اشتركت فيها طائرات الحلفاء بقوة كبيرة ، وشرعت قوات المحور فى الارتداد

واحتلت القوات الأمريكية قصرين وأخذت تزحف نحو سبيطلة بينما كانت أخرى تزحف نحو فريانة ، فعادت قوات المحور إلى أوضاعها القديمة قبل الهجوم الكبير

ثم بدأت حملات الدوريات العنيفة على مجاز الباب وركن ناالبهو (ملتقى الطرق) والعروسة وجبل منصور ، وهذه العمليات من النوع الذى يجيده روميل و يقصد به محاورة غريمه ثم اختراق المنطقة الضعيفة فى مراكزه

وقد حدث مثل ذلك فى نطاق أوسع عند ما دهم الألمان مراكز الحلفاء وتجاوزوا سيدى نصير واقتربوا من بيجة ثم تراجعوا إلى مراكزهم الأصلية فى اتجاه قفصه وسبيطلة ، وأعقب ذلك ثلاث هجمات قوية

أما فى الساحة الشمالية فكانت الأوضاع مستقرة وتمكن الجيش الأول من مراكزه الواقعة على بعد ٣٠ ميلا من تونس و٢٥ من بنزرت وهى المراكز التى استطاع الوصول إليها على أثر نزول قوات الحلفاء فى بلاد الجزائر . .

وقد ابتدأت المصادمات العنيفة بابتداء شهر مارس الذى سدّد الألمان فى أوله هجومين قويين من سيدى نصير إلى ماطر و بيجه فى

الساحة الشمالية بقصد الاستيلاء على بيجه ومجاز الباب ، وقد قامت المشاة بالهجوم الأول وقامت بالثانى قوات من الدبابات والمشاة فصدتها القوات البريطانية ، ثم كرّ البريطانيون بهجوم مضاد ردّوا به قوات المحور إلى خطوطها الأصلية

وكان الأمريكيون موفقين فى هجومهم فى المنطقة الجنوبية فأتموا احتلال قصرين وفريانة وسبيطله بينما كانت القوات الفرنسية تصد ببسالة ماوجهه الألمان إلى منطقة بير العطر من هجمات شديدة

.. ذلك فى الوقت الذى كان الجيش الثامن يعجم خط مارث وتضربه طائراته بقنابلها على أثر تقهقر روميل من طرابلس وحشده قوة مناسبة من وحداته المدرعة شمال قابس . . وبدأ الطرفان يستعدان للمعركة

وكان جيش أفريقيا الألمانى وجيش الصحراء البريطانى يحتلان مراكز منيعة وخصوصاً فى الجبال حيث تشرف نقط المراقبة على حركات الجنود فى السهل الساحلى .. وفى مثل هذه الساحة تقرر طبيعة الأرض نوع الأسلحة وتحدد معدات القتال ، فأصبح الاعتماد على المشاة والمدفعية أكثر من الدبابات والوحدات المدرعة التى لا تجد مجالاً للتنقل وسط هذا الميدان الضيق المزدحم

وانتهت فترة الاختبار وأخذت دوريات الجيش الثامن تعمل فى الممرات الجبلية والأخاديد والآكام ، وبطاريات المدافع تطلق نيرانها

الغزيرة ، و بدأ نضال الفريقين للاستيلاء على المواقع الجبلية وهو أمر يتطلب التفوق فى المدفعية

ولما كان أمام قوات المحور عدة ساحات فقد رأت القيادة أن تشغل إحدى هذه الساحات بهجوم مخادع بينما تقوم بالهجوم الحقيقى فى الساحة المنشودة ، فعندما كان روميل يشاغل الجيش الثامن فى خط مارث قام فون أرنيم بضربته الممتازة فى سد جنان فرد الجيش الأول عن مراكزه

غير أن الجيش الثامن قام أيضا بحركة جريئة أتم بها زحفه من حدود تونس إلى خط مارث فى وقت ألقىَ فيه روميل أكبر قوات لديه ضد الأمريكيين الذين يكوّنون الجناح الجنوبى للجيش الأول .. فجاء مونتجمرى بحركته هذه كنجدة لتخفف الضغط عن القوات المتحالفة ، وانتهازا لفرصة نادرة تستوجب الإقدام

وهكذا الحرب . . سجال بين الفريقين ، كل يفكر و يبتكر ، و ينوع خططه وأساليبه و يأتى بالمستحدثات للتغلب على خصمه أو للخلاص من معركة خاسرة . . وهنا مجال القائد الكبير الذى يعرف كيف يواجه الطوارىء و يعالج الأزمات و يعجل بالحلول . . و يشهد متتبعو هذه الحرب أنها أظهرت قائدين عنيدين ، كأنما وجـدا لهذه الخصومة ، ند وند ، كل له جولاته الجريئة وابتكاراته الفذة وكفايته الممتازة . . غالباً كان أو مغلوباً !

وقد حسب روميل حساب مونتجمرى فعنى بإعاقته فى خط مارث وقام فى السادس من مارس بهجوم واسع النطاق ، بمشاته ودباباته ، جنو بى الخط ، واختار لذلك وقتاً مناسباً ، وقد عرف روميل بحصافته فى الاختيار ، فقد كان يهاجم عند ما يشرع غريمة فى الهجوم و يتهيأ للتوثب فتضيع فرصته و يقع الاضطراب والخلل فى العملية التى تكون موشكة على النفاذ

حدثت المعركة فى جناح مونتجمرى الجنو بى ، فقام رجال المدفعية البر يطانية والمدافع المضادة للدبابات بدور باسل فى تحطيم الهجوم ، وكانت هذه المعركة نصراً لرجال المدفعية الذين استطاعوا صد وحدات الدبابات الألمانية التى كان من ضمنها عدد من الدبابات الثقيلة « مارك ٦ » التى تزن الواحدة ٦٠ طناً

أما هجوم الألمان فقد بدأ بستار كثيف من نيران المدفعية التى صوِّبت على « مدنين » وانحدرت فى الوقت ذاته الدبابات ومدافع الميدان والمشاة من الجبال على ساحة القتال ، وكان الهجوم شديداً وصفته برقيات روتر بأنه كان « اندفاعاً ألمانياً حقاً فى عنفه وشدته » فقد تجمعت فيه الدبابات والمدفعية الخفيفة عند سفوح الجبال وكوّنت وحدتين رئيستين متحفزتين للإطباق على مدنين ، ثم اتجهت الدبابات إلى مراكز الدفاع البر يطانية الرئيسية ، واشتد القتال وأصيب الطرفان بخسائر شديدة

وعند ما تقدمت المعركة جلب الألمان مدداً من مدافعهم الثقيلة وألقوا خلف خط القتال الرئيسى قنابل شديدة الانفجار ليحدّوا من حركات أندادهم ؛ واندفعت دبابات كثيرة لتحطيم المقاومة فقابلتها نيران حامية . . ثم دخلت المعركة المدافع الألمانية ٨٨ مليمتر لشد أزر الدبابات والمشاة ثم انقلبت المعركة إلى تراشق بالمدافع . . وبعد لأى خفت وطأة الضرب وتراجع كل فريق إلى خطوطه السابقة لإعادة التنظيم واستكمال حاجات القتال

وعاد روميل فهجم بشدة فى ساحة قصر رهلين (ج . غ . مدنين) بقوات من السيارات المصفحة تؤيدها المدفعية ثم ارتد شمالاً ، وبدأ اشتباك الدبابات فى معركة مرة المذاق كثيرة الضحايا . . وبعدها خفت العمليات فى ساحة الجيش الثامن بينما عاد النشاط إلى الساحة الشمالية وأخذ الجيش الأول فضل المبادأة واستعد لعمليات هجومية كبيرة بعد أن مهد لها بدورياته

ويلاحظ من هذه المحاولات الألمانية أنها كانت بقصد التعطيل إذ أنه لم يكن لديها الاستعداد الكافى للتغلب على قوات الحلفاء ، وقد كان للأخيرة تفوق عددى ملحوظ وانتصار جوى حاسم

وأصبحت المسألة مسألة وقت : فقوات المحور التى أخذت تجاهد ببسالة فى الركن التونسى لم تكن كافية للدفاع عن تونس مدة طويلة فقد كانت بحاجة إلى إمدادات وافرة من الرجال والعتاد والطائرات لا يسمح الموقف الحربى بإجابتها ، وكانت الأوامر الموجهة اليها هى

القتال إلى النهاية ، دون أى إشارة إلى الوعد بالمساعدة أو إرسال الإمدادات .

فلم يبق لفن الحرب إذن فى هذه المرحلة شأن بعد أن وصل نهايته وأصبح القول كله للقدرة البشرية على الجلد والاحتمال

وقد كانت قيادة الحلفاء تعرف ذلك وتفهم أنها على قيد مرحلة لبلوغ غايتها الأخيرة على ماسيكون فى ذلك من مشقة ، ولذلك أزمعت أن تستعد استعداداً حاسماً لتتجنب أى نقص ولتقوم بعملية كاملة فتضرب ضربة موفقة وتختصر التضحيات والآلام . . ولهذا قال مونتجومرى : « قد تبدو استعداداتنا بطيئة فى أعين أشخاص عديدين ولكن الضربة ستكون حاسمة » وقال الجنرال أندرسون « إن الخطوات النهائية قد لا تكون سهلة ولكنى واثق من الوقت الذى تطهر فيه شمال أفريقيا . . »

وفى لحظة واحدة أخذت قوات الحلفاء تشرع فى أعمالها الهجومية فى مختلف الساحات فزحفت القوات الأمريكية من فريانه وأخذت فى الهجوم على قفصة هجوماً بدأ بستار قوى من نيران المدفعية وقذائف حاملات القنابل ، وقد تم احتلال قفصة واستمر الزحف فى طريق مليئة بالألغام واشراك الدبابات بينما أخذت قوات المحور فى الانسحاب

هذا بينما أعلن الهجوم على خط مارث يوم ٢١ مارس ، فقد أطلق مونتجومرى رجاله ودباباته على المراكز الرئيسة بتأييد كبير من القوات الجوية ، وكانت ساحة الهجوم تمتد من الساحل إلى تلال ماطماطه

وقد بدأ الهجوم ليل ٢١ / ٣ ففتحت مئات المدافع أفوهها بأطنان القنابل على مساحة تقل عن الميل عرضاً فركزت نيرانها تركيزا شديداً ثم انبعث بعد ذلك ستار عنيف من النيران تقـدم الجنود خلفه لبدء هجومهم .

وكانت خطة مونتجمرى أن يلقى بجنوده فى حركة التفاف بدلا من الهجوم بالمواجهة فدارت قوة كبيرة تحت قيادة الجنرال فريبرج والتفّت حول خط مارث بحركة اندفاع حاسمة عاونتها الطائرات معاونة قيمة فتكلّلت بالنجاح .

وقام المهندسون بتطهير حفر الألغام ونسف الصخور وإقامة سلالم الحبال وكانوا هم أبطال الموقف بحق ، فقد أحدثوا الثغرة وحملوا مواد البناء لإنشاء رأس الكوبرى لبقية القوات .. واستبسل الألمان للاحتفاظ بالخط فألقوا بصفوة جنودهم فى النقط الحصينة بينما كانت المدفعية البريطانية تمطر مراكز الألمان بوابل نيرانها . . وقد تم اختراق الخط بعد معركة دامت ليلة ويوماً فكانت من أشد المعارك التى ذاق مرّها فيلق أفريقيا الألمانى .

وقد وصف اقتحام خط مارث بأنه إدارة المفتاح فى قفل دفاع روميل . . وقد انفتح القفل فعلا !

ويقال إن روميل أبلغ جنوده أنهم إذا لم يستردوا « مدنين » ولم يرغموا الجيش الثامن على الانسحاب فإن أيام المحور فى أفريقيا

خليج قابس
قابس
جزيرة جربة
مدنين
بن جردان
زوارة
سيدى طوى
طاطوين
دويرات
تونس
طرابلس
ذهيبات
نالوت

معركة خط مارث



الجنرال فريبرج

ستعد عداً . . وقد عقب مونتجمرى على ذلك فقال لجنوده : « من واجبنا أن نبرهن لروميل على صحة بيانه ، فأيامه محدودة فى شمال أفريقيا ، فالجيش الثامن وقوات الصحراء الجوية عبارة عن آلة قتال واحدة متأهبة للتقدم ، والعدو نفسه يدرك تمام الإدراك معنى ذلك . »

ثم قال بصراحة وثقة : « سيحطم الجيش الثامن قوات العدو المواجهة لنا وسينفذ من ثغرة قابس ثم ينطلق شمالا إلى صفاقس وسوسة وينتهى به الأمر إلى ساحل تونس ، ولن يكون أمام العدو سوى الكف عن القتال أو إلقائه فى البحر . .

إلى الأمام نحو تونس ، وألقوا بالعدو فى البحر »

وقد حدث بعد أسبوع من بدء الهجوم على خط مارث أن أذيع أن قوات روميل تنسحب من ذلك الخط نهائياً .

وفى ٣٠ مارس أذاعت قيادة الحلفاء أن الجيش الثامن استولى على الحمة وقابس وتقدمت وحداته الأمامية نحو الشمال على الرغم من المقاومة الشديدة التى كانت تبديها ساقة الألمان .

وفى هذه الأثناء كانت القوات الأمريكية تواصل زحفها الموفق فى ساحة قفصة ، وتزداد القوات الفرنسية نشاطاً فى ساحاتها ، ويتقدم الجيش الأول فى ميدانه بمنطقة الجبل الأبيض

وعند انتهاء شهر مارس كان خط الحلفاء فى تونس يبدأ من

قابس — مكناسى — ممر فايد — فندق — وسلاته — مجاز الباب إلى سد جنان

ثم بدأت خطوة جديدة من خطوات الجيش الثامن باستيلائه على قريتى مطوية وأودرف صباح ٣٠ مارس ، وهما على جانب طريق قفصة — قابس ، تبعد الأولى ٧ أميال والثانية ٩ أميال شمال غربى قابس

ولم يبد الألمان أى مقاومة للوقوف فى هذه المنطقة ، ولكن كان روميل يحاول تأخير الزحف باستخدام الألغام وسد الطرق وحرب المؤخرة والضرب بقنابل المدافع البعيدة المدى ، وكان مطمئناً إلى أن البحر يحمى ميسرته والتلال تحمى ميمنته ، فلا سبيل إلى تطويق قواته

ويسهل على متتبعى الحالة الحربية إدراك ما كانت تعانيه قوات المحور أثناء ارتدادها من عناء وآلام وما بلغته من كلال وانحلال بعد هذه المعارك الطاحنة والانسحاب المر مئات الأميال ، والخسائر البالغة فى الأسلحة والمركبات الحربية على أنواعها ... وكانت قوة الحلفاء الجوية مصدر خطر كبير على الارتداد فقد تصدت للقوات المرتدة وشددت عليها النكير ، فكانت الخسائر مروعة بفعل سلاح الطيران الذى كان يبسط جناحيه فوق قوات روميل ويضربها ضرباً لا هوادة فيه ، ويواصل ضرب القوات ودك خطوط الدفاع أولا بأول ويلقى القنابل الثقيلة على الطرق والمواصلات ، فكان ذلك إعلاناً باقتراب النهاية وتقرير المصير

وقد جال بخاطر الكثيرين وهم يشهدون خارطة الميدان التونسى ، أن يثبت روميل فى فتحة قابس ، عند عنق الزجاجة ، فيستفيد من البحيرات الملحة ، وهى فكرة طيبة لولا أن هناك خطراً آتياً من ناحية القوات الأمريكية التي اقتربت من ظهر ذلك الخط فأصبحت مهددة بقطع خط الرجعة . . . وبذلك لم يعد من الطريق مكان صالح للدفاع سوى وادى العكاريت (٢٠ ميلا شمال قابس) الذى تصفه كتب الجغرافيا بأنه واد مائل ينحدر نحو البحر ، فهو عائق طبيعى للمركبات ، ومركز مناسب تتحصن فيه المشاة

وابتداء من شهر ابريل بدأ تقدم الحلفاء بصفة عامة فى جميع ساحات تونس

فالجيش الثامن كان يتقدم بسرعة على طول الساحل دافعاً أمامه جموع الفليق الألمانى رغم اشتداد مقاومة المؤخرة التى كانت تحمى تقهقراً وصل إلى حالة ميئوس منها بسبب الخسائر الشديدة التى أصابته بفعل طائرات الحلفاء وفقده لعدد كبير من المركبات وناقلات الجنود

وكانت القوات الأمريكية تزحف بنجاح فى طريق القطار ، قابس — بالمشاة والدبابات محاولة الاتصال بالجيش الثامن الذى لم يعد يفصله عن قوات روميل سوى نطاق ضيق متحرك لن يلبث أن يزول

وكان الجيش البريطانى الأول قد أتم استيلاءه ، على سد جنان فاضطرت قوات المحور إلى التراجع منها إلى المراكز القديمة فى التلال

تاركة جميع الأراضى التى ربحتها بعد عناء كبير ودماء مراقة وأسلحة محطمة وأسرى بالآلاف

وكانت القوات الفرنسية تعمل بنشاط فى عدة ساحات ، فكانت قوة منها تعمل مع الجيش الأول فى منطقة سدجنان وقوة فى وادى وسلانه وثالثة فى شرق بيشون ورابعة وخامسة فى منطقة شط الجريد

وفى اليوم السادس من ابريل بدأت مرحلة جديدة من مراحل القتال النهائية ، وذلك فى وادى العكاريت

ففى الصباح الباكر عاود الجيش الثامن هجومه على مراكز المحور ، وهى الاستحكامات التى أقامها روميل على وجه السرعة فى مكان مناسب للدفاع بعد أن نسف الجسور وملأ الطرق بالألغام واستعد لاقامة ساتر قوى من نيران المدفعية

وقد جاء هجوم مونتجمرى دليلاً جديداً على كفايته العسكرية الممتازة ، فأخذ غريمة أخذة رابية ، وهاجمه فى جنح الليل الحالك فى ليلة غاب فيها القمر

فهو قائد لا يتقيد بطريقة حربية واحدة ، بل يغيّر ويبدّل فى خططه حسبما يقتضى الموقف ، ويفعل الشىء الذى لا يتوقعه الخصم بخطط وفنون متنوعة ، ففى العلمين مثلاً جعل ثقل هجومه كله على مراكز المحور الرئيسية فى منطقة الساحل ، ثم دار فجأة فى توغل ناجح فحطّم جناح العدو كله وأذاقه هزيمة مريرة ، وفى خط مارث خدع العدو

بهجوم أمامى ، ثم انحرف بغتة بكل قوته فى حركة تطويق بارعة فحطم مراكز دفاع العدو الرئيسية ، وفى وادى العكاريت فاجأ خصمه مفاجأة غير منتظرة فى جنح الظلام فكانت فاتحة انتصار رائع

وقد سبق زحف الفرق البريطانية والهندية ستار من نيران صبها خمسمائة مدفع على مثال ما حدث فى العلمين . . وبعد ساعتين أحدث الجيش الثامن ثغرة فى مراكز المحور التى كانت تمتد ١٢ ميلا فأسرعت القوات المدرعة والسريعة الحركة إلى التدفق منها ، وتم احتلال عدة تلال تعد مفاتيح الساحة فانهارت مقاومة المحور

وقاتل الألمان فى هذه المعارك قتالاً شديداً ، وكانت كرّاتهم صادقة ذات عزم شديد ولكنها صُدّت . وقالت مصادر الأنباء أن روميل تحمل خسارة جسيمة بل انكسر انكساراً حاسماً

وأسر فى هذه العملية ستة آلاف أسير ، ولاحظ المراسلون الحربيون أن الايطاليين يكوّنون دائماً الجانب الأكبر من الجنود الموجودين فى مراكز الدفاع ، وأنهم يكوّنون كذلك — كالعادة — الجانب الأكبر من الأسرى

وقيل أن نسبة الأسرى هى ست إيطاليين مقابل ألمانى واحد

وقد حدثت هزيمة المحور هذه أمام الجيش الثامن فى الوقت الذى نجحت فيه القوات الأمريكية والفرنسية فأتمت اتصالها بقوات

مونتجمرى يوم ٧ أبريل ، وأزاء هذا الاتصال انسحب المحور من منطقة القطـار

وأخذت قوات الحلفاء تدق قوات المحور فى تونس من الجنوب والغرب والشمال ، فالجيش الثامن يتعقب طريدته المرتدة شمالاً ، والقوات الأمريكية والفرنسية تندفع شرقى وشمال شرقى القطـار ومكناسى ، والجيش الأول يواصل هجومه فى صفاقس

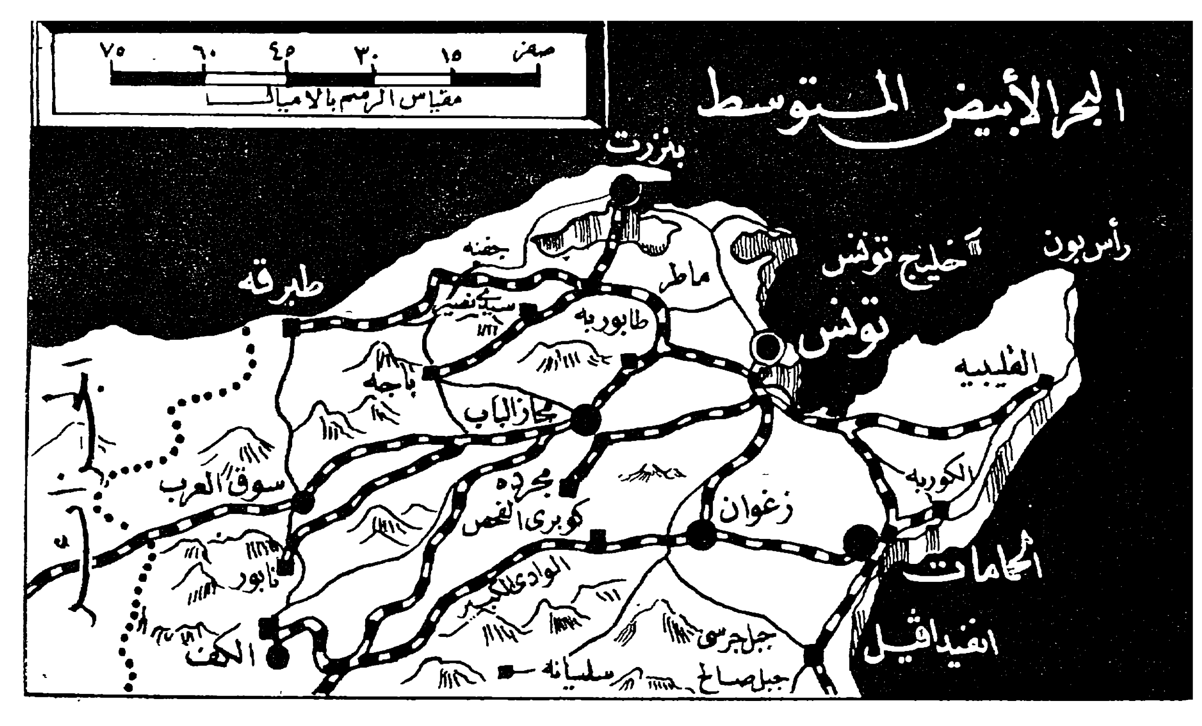
وفى صباح ١٠ ابريل أذاعت قيادة الحلفاء أن ميناء صفاقس (١٥ ميلاج . ش . تونس) — القاعدة الرئيسية لرومل — أحتلت ، فتراجعت قوات المحور بسرعة دون عناية بوضع الألغام والاشراك الشهيرة ، كما تم اخلاؤها فندق وبيشون فى الساحة الوسطى

وقد دار قتال عنيف قبل أن يتيسر للحلفاء اختراق خطوط منطقة (فندق) إذ كانت قوات المحور ثابتة فى مراكز دفاعية طبيعية ذات مناعة ، وفوق ذلك كانت الألغـام مبثوثة بكثرة ، وقوة من الوحدات المدرعة الشديدة البأس تتأهب لقتال حامى الوطيس

وتمكنت قوة متقدمة تحت نيران شديدة من فتح طريق وسط الألغام ، فراحت القوات المدرعة وقوات المشاة تجتاز المنطقة بطريقة المروحة وهى النفوذ فى منطقة ضيقة ثم الانتشار فتأخذ المنطقة فى الاتساع شيئاً فشيئاً ، ودارت الدائرة على جنود المحور فانسحبت على عجل

تاركة الكثير من مهمات وأسلحة وأسرى ، وأفلتت من موقف خطير جداً

وقد وصف يوم ١٠ ابريل ١٩٤٣ هذا بأنه كان يوماً مشئوماً على المحور ، ليس فقط بالنسبة لما حدث فى ساحة فندق ، ولكن أيضاً بسبب معركه جويه خطيرة ، فقد أسقطت القوة الجوية للحلفاء ٥٨ طائرة من طائرات المحور منها ٤٠ طائرة نقل ، وهو رقم قياسى لم يسبق له مثيل فى أى ساحة من ساحات الحرب



الركن التونسى : آخر ساحات الحرب فى أفريقيا.

الجولة الأخيرة

فى النصف من ابريل عام ١٩٤٣ بدأت الجولة الأخيرة من هذه الملحمة العنيفة فى شمال أفريقيا

وكانت مراكز المحور تقع على بعد ٢٥ ميلا شمال سوسة والقيروان و٥٠ ميلا جنوب مدينة تونس ، وكان الخط الدفاعى يمتد ٣٢ ميلا من انفيدافيل غربا ثم ينحرف قليلا نحو الجنوب فى اتجاه بو حجر (٢٥ ميلا ج كوبرى الفحص) وقدرت قوات المحور فى الركن التونسى بـ ١٦٠ ألف جندى المانى و٧٠ ألف إيطالى

أما مدى ما وصل إليه الحلفاء فكان يحده خط يبدأ من رأس سيرات ويتجه جنوباً إلى سيدى نصير ثم يتجه إلى مجاز الباب فينحرف جنوبا إلى بوغراضة ويمتد شرقا إلى انفيدافيل .

وأصبح من المسلّم به فى هذه الفترة أنه لا قبل لقوات المحور بالاستمرار على القتال إزاء الضغط المتزايد عليها من قوات البر ، والحملات العاتية من قوات الجو ، وضياع الأمل فى وصول نجدات أو إمدادات

. . فقد هزمت هذه القوات هزيمة تامة فى جميع الساحات وأصيبت باصابات خطيرة متوالية منذ موقعة العلمين ، وفقدت عدداً كبيراً من القتلى والجرحى وآلاف الأسرى وكميات عديدة من الأسلحة والمركبات التى غُنمت أو دُمرت

ووصلت مسألة تموين الألمان إلى درجة سيئة ، وأفلح الحصار البحرى الذى ضربته الغواصات والطائرات البريطانية ، وكانت قوات الحلفاء تغرق أكثر من نصف السفن التى تحمل الجنود والعتاد والبنزين ، ويقال أنه وقع فى يد الحلفاء ما يثبت أن الجنرال فون ارنيم شكا من زيادة النقص فى الوقود والذخائر الحربية وطائرات القتال وضعف الرقابة على السفن الحربية

وكان لقوات الحلفاء الجوية تفوق كاسح فكسبت معارك الجو ولعبت دوراً كبيراً فى القتال ، وتدمير المواصلات وضرب المطارات وكانت مصدر خطر ماحق لقوات المحور . . وقد أذيع بيان فى هذه الفترة جاء فيه أن حملة شمال أفريقية كلفت القوات الجوية الألمانية خسارة ١٢٥٣ طائرة مقابل ٤٩٨ طائرة للحلفاء

وقد حدثت طامة كبرى لقوة المحور الجوية فى التاسع عشر من إبريل إذ اشتبكت تشكيلة كبيرة من مقاتلات الصحراء التابعة لقوة الجو الأمريكية بمائة من طائرات النقل الألمانية التى كانت تحرسها طائرات القتال فوق البحر المتوسط ، فدارت معركة شديدة الهول تعد

أعظم الملاحم الجوية فى التاريخ وانتهت باسقاط ٧٤ طائرة للمحور وتسع طائرات أمريكية ، وكان ذلك ختاماً لمحاولات المحور التى أريد من ورائها إرسال إمدادات عن طريق الجو .

فالثمن الباهظ الذى بذله المحور فى الرجال وفى الفولاذ وفى الطائرات فى سبيل الاحتفاظ بمركز غير مأمون فى تونس بلغ حدّه ، ولم تعد هناك طاقة لاحتمال خسائر أخرى .

وهنا يثب السؤال الذى توارد على الخواطر عند ما بلغت الحالة فى تونس هذا الحد الميئوس منه بالنسبة لقوات المحور وهو : أى مشهد سنرى . . دنكرك جديدة أو ستالينجراد أخرى ؟ أو بعبارة أخرى هل ينوى ڤون روميل الجلاء كما فعلت القوات البريطانية فى دنكرك أو يستمر صامداً كما فعل الچنرال باولوس فى ستالينجراد . . ؟

وقد لوحظت الشواهد الآتية فبعثت الظنون على أن الألمان يعدون العدة للرحيل :

(١) إفساد الحلفاء موقف سفن المحور فى ميناء كالياري حيث كانت تستعد .

(٢) وقوع وثيقة فى يد الحلفاء تعبر عن محاولة الألمان استخدام السفن التجارية الفرنسية .

(٣) حشد الجرارات وسفن الصيد الإيطالية فى موانى صقلية .

ولكن الحصار البحرى الذى أقامه الحلفاء جعل مسألة الجلاء عن عن طريق البحار محاولة ميئوس منها ، فإذا كان هناك تصميم على

الجلاء فلا يمكن أن يكون إلا عن طريق الجو ، على ما سيعرض له من أخطار لا مفر منها .

وقيل إن القائد الألمانى أُمر بالقتال إلى النهاية ، وكان من دلائل ذلك أن القوات التى كان يقودها روميل انضمت لقوات الچنرال فون أرنيم وأخذت تستعد فى أماكن محصنة فى منطقة تونس فكان ذلك تغليباً للرأى القائل بأن ستالينجراد أخرى على وشك الحدوث .

أما خطة الحلفاء فكانت واضحة غاية الوضوح وهى القضاء على مقاومات المحور الشديدة فى الركن التونسى على أن يكون الأفضل فى ذلك منعها من الإفلات ودفعها إلى التسليم

وهى الخطة التى بدأت منذ وضعت تصميمات الهجوم وزَحَفَ الجيش الثامن غرباً من مصر ، ونَزَلت قوات الحلفاء فى شمال وغرب أفريقيا — وكان ذلك عملا عسكرياً كبيراً يناسب ما لتونس ومنطقة البحر المتوسط من أهمية كبرى -

وقد كانت الطريق شاقة والتكاليف باهظة إذ لم تكن القوات الأولى التى نزلت فى شمال أفريقيا تعلم بالدقة كل شىء عن المسائل العسكرية التى ستواجهها ، ولم يكن العتاد متكافئاً مع المسافات الطويلة التى يجب قطعها ، وقوات المحور القوية التى ستلتقى بها

ولكن فى شهر يناير تم ارسال الإمدادات اللازمة وعززت الحملة تعزيزاً كبيراً وتم تنسيق الأعمال بصفة تجعل نجاحها أكيداً فتمكن

الجيش الثامن من القيام بفعاله الحربية الباهرة التى حقق بها أعظم الانتصارات وغيّر من أمر الموقف فى ساحة تونس حين دخلها ، ثم حقّق فوزه العظيم فى خط مارث وفتحة قابس ووادى العكاريت ، وأخيراً أشار له مونتجموى « بالهجوم الثالث ، لنرغم العدو على مواجهة هزيمة تشبه دنكرك ولكن من الدرجة الأولى ! »

وكان خط الدفاع الألمانى أمام « أنفيداڤيل » يحمى وراءه ممرات جبلية ضيقة أمام المسالك الجنوبية لمدينة تونس ، أما وسائل الدفاع الألمانية فكانت حفر الخنادق وإقامة مصاطب المدفعية فوق المنحدرات وقد عززت بما تبقى من مدافع ٨٨ مليمتر الشديدة الفتك ومدافع ١٠٥ القوية وعدد من مدافع الهاون ذات الأفواه الستة

وبدأ الجيش الثامن هجومه بصفة حاسمة مساء ١٩ ابريل ومُهد للهجوم بالستار المعهود من نيران مدفعيته المخيفة ، وأخذت قوات المشاة تهاجم استحكامات الدفاع فى الجبال ، وحدث نضال عنيف وقتال مروّع فى كل شبر من الأرض

وهنا موضع درس هام لمن يدرسون الحرب ، فيجب ألا يمروا سراعاً بمثل هذه الملاحم المروعة ، إذ هذه هى الحرب الحقيقية ، فأمامنا خصمان بلغ الكلال منهما مبلغاً كبيراً إذ أن عراكهما استمر فترة طويلة تميل كفته مع هذا الفريق تارة ومع ذاك الفريق تارة أخرى ، وأصبحا أمام الجولة الأخيرة ، كلٌ يبذل آخر مجهود له وهو يعلم بنتيجة عمله

ومالها من أثر خطير فى مجرى الحرب ، وانتهى دور المدافع واستراحت الدبابات ، ولم يبق سوى الجنود يتقاتلون يداً بيد ، فالتى سوف تقرر المصير إنما هى العزائم والقوى المعنوية وروح القتال

ولم يكسب الجيش الثامن الموقف إلا بفضل تدريب شديد تلقاه عن قائد حصيف ومدرب جند ممتاز ، فقد ظل الجنرال مونتجمرى قبل أن يبدأ هجومه فى العلمين يمرّن رجاله على أنواع مختلفة من المعارك وألوان شتى من حالات القتال ، فتدربوا على القتال فى لهيب الصحراء المتقد ، وفى الممرات الجبلية والمسالك الوعرة ، وأتقنوا العمليات الليلية .. ولهذا كان هجومهم فى الجبال المتاخمة لأنفيداقيل ، على ارتفاع ألف قدم ، وقتالهم فى الليل الحالك ، خير برهان على ما كسبوه من التدريب قبل الشروع فى جولات الحرب الحاسمة

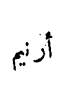
وقد انتهى تصميم الألمان على أن تنتهى حرب تونس كما حدث فى ستالينجراد لأنهم لم يسرعوا فى الجلاء واستحكاماتهم سليمة ، ولكنهم قرروا الدفاع إلى النهاية كى ينالوا نصراً دفاعياً كالذى أحرزته القوات البريطانية فى طبرق فتصبح تونس شوكة فى جنب الحلفاء تضيع عليهم قاعدة الوثوب على ساحل أوربا الجنوبى

وكان قوام القوات الألمانية مائتى ألف جندى تقريباً من خيرة رجالهم مجهزين بأسلحة من الطراز الأول ويرابطون فى مواقع جبلية محصنة ، وقد عمد فون أرنيم إلى تقصير خطوطه فبلغ القتال أقصى



روميل





أرنيم

القادة الألمان فى شمال أفريقيا

مراحله العنيفة ، واحتدمت المعارك فى البر والجو ، والتقى جنود الفريقين فى اشتبكات حامية بالأسلحة البيضاء

ولم يكن للدبابات مجال فى هذا الصراع بقدر ما كان للمشاة التى حملت عبء هذه العمليات ، وقد قامت الطائرات بدور هائل فأخذت فى تدمير معاقل المحور وهدم مواصلاته ووسائل تموينه

وكانت صورة القتال فى انفداڤيل مغايرة للصور التى عرفها الجيش الثامن من قبل ، فقد كان يعمل هذه المرة للاستيلاء على جبال شاهقة وممرات محصنة ثبتت فيها جنود قوية مصممة على الدفاع إلى النهاية . . وقد أبدت فيه صلابة أشد من أى مكان آخر وقفت فيه ، ومع ذلك فقد كانت ترغم على الانسحاب ببطء تحت عبء الضغط المصوّب عليها فى جميع ساحات تونس

فالفيلق الأمريكى كان يتقدم صوب بنزرت من رأس سيرات بينما كانت بقية القوات الأمريكية تزحف زحفاً مطرداً فى شرق مجاز الباب والفرنسيون فى جسر الفحص يبلون بلاء حسناً

وأخذ الجيش الثامن يتقدم على الرغم من أعمال الإتلاف و بث الألغام و يجدّ نحو المنفذ إلى تونس

وانتهى الأمر بارتداد جنود المحور وتراجعهم شيئاً فشيئاً متكبدين خسائر فادحة دون أن تغنى عن ذلك مراكزهم القوية ومدافعهم الجيدة وقتالهم الممتاز فلم يكن فى طاقة البشر أن يعمل أكثر مما عمل ، وقد

كانت قواتهم أقل عدداً وعُدداً وفى نقص فاحش من ناحية الطائرات

وفى فترة قصيرة — أقصر مما كان يتوقع أكثر المتفائلين — تم نجاح قوات الحلفاء فوثبت إلى تونس و بنزرت وثو باً خاطفاً

وكان هجوم الجيش البرى مصحو باً بأشد هجوم جوى تعرض له جيش من قبل ، وكانت الغارات مركزة فى منطقة ضيقة تتساقط فيها القنابل جنباً إلى جنب . . وتم للحلفاء دخول تونس و بنزرت وفر يفيل فى يوم واحد وهو يوم ٧ مايو ١٩٤٣

وتقدمت قوات الجيش الأول المصفحة ودورياته يوم ١١ مايو على طول الساحلين الشمالى والجنو بى لشبه جزيرة رأس بون وأتمت تطو يقهما فانهارت آخر مقاومة فيها وأسر نحو عشرين ألف جندى

فلما كان اليوم الثالث عشر من مايو تم وقف كل مقاومة للمحور من جميع أنحاء تونس ، وانتهت جميع أعمال القتال ، وألقت قوات المحور التى كانت تواصل الحرب فى « الجيوب » الثائرة سلاحها واستسلمت وأسر القائد العام الجنرال فون أرنيم ، وقائد الجيش المدرع الجنرال ڤون ڤاليست ، وعدد من القواد ، وجنود خيرة الفرق الألمانية ومقادير عظيمة من السلاح والعتاد وأعلنت المقامات الرسمية أن عدد الأسرى خمسة وسبعون ألفاً معظمهم من الألمان

وقد ذكر مستر تشرشل فى بيان أذاعه على مجلس الأمة (الكونجرس) فى وشنطن أن « عدد جنود العدو الذين أسروا أو

قتلوا فى هذه الحملة يزيد على ربع مليون من خيرة قواته ، وخسر مع هذه القوات مقادير هائلة من عتاد الحرب ، وقد كلفت شمال أفريقيا الدكتاتورين ٩٥٠ ألف جندي بين قتلى وأسرى ، ونحو ٢و٤٠٠و٠٠٠ طناً من السفن ذهبت إلى أعماق البحر وما يقرب من ٨٠٠٠ طائرة دمرتها قواتنا ، و٦٢٠٠ مدفع و ٢٥٥٠ دبابة و٧٠ ألف مركبة نقل وكانت الهزيمة ماحقة حقاً ... »

وبهذا طهرت القارة الافريقية من الجنود المعادية للحلفاء ، وأعلنت البيانات الرسمية أن خسارة المحور فى ميدان تونس بلغت ٥٠ الف قتيل و٤٨ الف أسير فكانت ضربة قاصمة ختمت الفصل الأفريقى من كتاب الحرب العالمية بعد عامين ونصف فى قتال مر ودماء مراقة وتكاليف باهظة وضحايا جسيمة فى الأسلحة ومعدات القتال

وكان لهذا الانتصار الرائع أثره الكبير فى تغيير سير الحرب وتعديل اتجاهها ، فعُدّ ذلك مرحلة التحول أو بداية النهاية وفاتحة فعال حربية هجومية واسعة النطاق ؟



من القـــراء

بعث كثير من القراء ، من رجال العسكرية والسياسية — مصريين وأجانب — إلى المؤلف بخطابات ثمينة تعبر عن ارتياحهم وتشجيعهم الكريم لما يصدره من مؤلفات . . وبينها رسالات سامية من أصحاب السمو الأمير عمر طوسون والأمير يوسف كمال وأصحاب المعالى والسعادة أحمد حسنين باشا ومصطفى نصرت بك وسفير بريطانيا ووزير أمريكا المفوض والفريق إبراهيم عطاالله باشا ومحمد حيدر باشا وعلى فهمى باشا واللواء مندور محمد باشا والأميرالاى محمد متولى بك وغيرهم . .

وتلقى من صاحب السعادة البارون دى بنوا رسالة قيمة جاء فيها « وإنى على يقين من أن الكتاب الجديد سيقابل بترحاب فائق كما قوبل كتاب (حرب الصحراء المصرية) الذى وصفـــه سعادة إبراهيم عطاالله باشا بأنه يجمع بين دقة البحث واستقامة التفكير براعة العرض وأناقة التعبير . . »

وجاء فى كلمـة لسعادة الفريق محمود شكرى باشا عن كتاب (هذه هى الحرب) أنه « أول كتاب شامل لكل ما يجب أن تأخذ به أمة طموحة إلى الاستقلال الكامل والقوة ، وغاية ما أرجوه أن يطلع عليه قادة الأمة وزعماؤها ويعملوا بما فيه . . »

وكتب الأميرالاى أحمد عونى بك عن كتاب (حرب الصحراء المصرية) يقول « من لم ير الحرب فقد يراها فى ثنايا هذا الكتاب

الصغير الكبير . . يراها دائرة الرحى حامية الوطيس فى أدق مراحلها وأعنف أطوارها ، بريشة فنان بارع موهوب يطالعنا بأشهى ما تستمتع به النفس من حديث الحرب الصحراوية ، تلك التى تأججت نيرانها على أبواب مصر وكاد لهيبها أن يندلع فى أرجائها . . وتلك همة لم يضطلع بها غيره من عباقرة الكتاب فى مصر . . »

أقوال الصحف

ويقدم المؤلف أجمل الشكر إلى رجال الصحافة الكرام وأصدقائه الكتاب الذين أفسحوا له أنهر صفحاتهم وعنيت أقلامهم بمؤلفاته المتواضعة فى وقت يضيق فيه نطاق الصحف ويلزم بالتوفير والاختصار .

وفيما يلى مقتطفات من روائع ما قيل :

كتاب « هذه هى الحرب »

قالت عنه **الأهرام** « جاء جديداً فى معالجة موضوعات الحرب واستعراض الحوادث وتبسيط المعلومات العسكرية مما يغنى عن عشرات المؤلفات الحديثة . . »

وقالت **المقطم** « . فصول ممتعة تشيع فيها روح الإقدام والبطولة وصدق العزيمة وتدل على علم غزير وإلمام تام ودراية صحيحة بالمسائل الحربية . . »

وذكرت مجلة الجيشى أن « هذا المؤلف النفيس قد حوى العناصر الجوهرية التى ينطوى عليها فن الحرب »

ووصفته La Bourse بأنه « كتاب شائق جداً كتبه رجل اخصائى»

كتاب « حرب الصحراء المصرية »

قالت المقطم « كتاب نفيس ، بل تحفة ممتازة يشتاق للاطلاع عليها كل قارىء »

وقالت المصرى « أسدى المؤلف بكتابه هذا يداً جليلة الشأن إلى قراء العربية الذين كانوا شهود هذه الحرب ومن أشد الناس تلهفاً على أنبائها . . »

وقالت Le Progrès « قلما يجد القارى كما فى (حرب الصحراء المصرية) مثل هذه الدراية العسكرية ، وليس هذا هو أول كتاب للمؤلف فإن كتابه (هذه هى الحرب) قد أثار موجة اهتمام وترحاب أعلت شأنه فى مختلف الأوساط المصرية والأجنبية . .

وقالت Le Journel D'Egypte « كتاب شائق من عدة وجوه : إستعراض مثالى ووقائع دقيقة وحقائق وثيقة ودراسة منطقية لا أثر فيها للتحيز ، وكجندى صحيح أهدى الملازم أول السيد فرج كتابة إلى (الجندى الباسل . . غالباً ومغلوباً ، حياً وميتاً)

وقالت La Bourse « الكتاب جميل الأوضاع مكتوب بأسلوب واضح حكيم ، فهو يجمع إلى خصائصه الفنية حقائق شائقة ومعلومات

دقيقة عن الفعال الحربية للأعداء والحلفاء ، وسيلمس القارئ تضلع المؤلف فى الناحيتين العسكرية والفنية ، فهذا الكتاب ولا شك وثيقة قوية مترعة ستلقى الإعجاب . . »

وبمثل هذا تحدثت بقيـة الصحف والمجلات عن هذه المؤلفات وعن غيرها

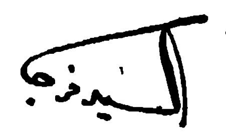
شكر وعهد

وأخيراً يقدم المؤلف هذا الشكر والعهد إلى الأصدقاء المجهولين . . إلى القراء الأعزاء الذين أكرموا هذه المؤلفات وأحلوها مكاناً علياً بإقبالهم عليها وتأييدهم لها

أما مطبعة المعارف ، صاحبها الفاضل ومديرها القدير وسكرتيرها وموظفوها وعمالها . . فماذا أقول عنهم ! وهل تجزى كلمات الشكر والثناء كل هذا الفن والذوق والإبداع . . ؟ !

سادتى الكتاب والقراء والأصدقاء

شكراً عميقاً . . وإلى اللقاء .



فهرس

١٢٠١/١/١/١٩٤٤